مغامرات
أرسين لوبين



غرفة الموت

الفصل الأول

بداية اللغز

لاريبة فى ان لغز الغرفة الصفراء من أغرب وأعقد الجرائم التى وقعت فى خلال الثلاثين سنة الأخيرة . والتى كان لصديق أرسين لوبين الفضل الأول والأخير فى إماطة اللثام عن سرها الخفى .. بما أوتى من ذكاء متوقد وحيلة واسعة ومقدرة فذة على الاستنتاج .

الغرفة الصفراء .. ! يالله .. ! منذا الذى لم يدهشه هذا الحادث العجيب الشبيه بالأحاجى التى يبتدعها عقل خصب عميق التصور ..؟ لقد جاء وقت لم يكن فيه للناس أو الصحف من حديث إلا عن الغرفة الصفراء حتى لقد وقعت فى تلك الأيام أزمة وزارية مرت غير ملحوظة لا يكاد يشعر بها أحد . !

ومع ذلك فقد ما تعفو الأيام على أبرز الحوادث فتمحو من الذهن آثارها . وما أسرع ماتنسى الجماهير اضخم الوقائع وان شغلت الرأى العام زمنا طويلا . فقد طوى حادث الغرفة الصفراء كما طويت من قبله حوادث جسام . ولم تبد له فى النفوس الاذكرى مضطربة . مبهمة اختلطت معالمها وحدودها .

ولكننى بحكم صداقتى لأرسين لوبين كنت على علم وثيق دقيق بتفاصيل الحادث وقد اتيح لى ان اطلع على مستندات ووثائق تجلو منه نواحى ظلت مكتوفة مستورة عن الجمهور . فبدا لى ان اجمع بين دفتى هذا الكتاب ما يلقى ضوءاً على ذلك الظلام الذى تخبط فيه الناس طويلا .

مرت شهور طوال والعالم كله متشوف . متلهف . يتطلع إلى هذا اللغز المعقد ويتمنى الساعة التى يزاح فيها الستر وينكشف السر .. شهور طوال ورجال البوليس وقضاة التحقيق يبحثون . ويتحرون .. ويحققون . ومازال الغموض على عهده . ظلمات فوق ظلمات . وأستار تتلوها أستار .. ولغز صغير لايلبث ان ينكشف عن لغز كبير .

ولكن ما اخفقت فيه الدنيا بأسرها نجح فيه أرسين لوبين .! أصاب حيث أخطأوا . وظفر حيث خابوا . وكشف من اللغز

سرا أدنى إلى مبتكرات الخيال .

ولكنه حين وقف أمام محكمة الجنايات ليدلى بأقواله فى هذا الصدد كان متكتما . متحفظا . لا يلقى بكل ما يعلم . وإنما يكتفى بما يقيم أركان القضية لأسباب معينة دعته فى ذلك الوقت إلى هذه الخطة من التحفظ . اما الآن وقد زالت هذه الأسباب — فلا ضير على ان أنا تكلمت وأزحت الستر عما يجهل الناس .

ولا حاجة بى إلى القول بأن صديقى لم يتقدم إلى الميدان بصفته أرسين لوبين . وإنما تقدم بصفته راؤول تابيه محرر الأبحاث الجنائية فى جريدة ايكودى فرانس . فقد مرت به فترة من الوقت آثر فيها ان يكف عن المغامرات وأن يسلك سبيل الشرف والاستقامة فغير من هيئته والتحق بهذه الصحيفة محررا للأبحاث الجنائية وما مضت عليه شهور قلائل حتى استفاضت له شهرة داوية بما كان يبدى فى تحليل الجرائم وتكييفها من براعة منقطعة النظير مما زاد فى رواج الصحيفة وسعة انتشارها .

والآن أنتقل بالقراء إلى حوادث الغرفة الصفراء فأقول ان جريدة الطان ظهرت فى صبيحة يوم ٢٥ اكتوبر من عام ١٨٩٢ وفيها النبأ التالى :

« ارتكبت جريمة شنيعة فى قصر جلانديه الواقع على حدود غابة سانت جنفيف بالقرب من ابيناى سيرورج كانت ضحيتها الآنسة استنجرسون كريمة العالم الشهير البروفسور استنجرسون . فقد حاول مجهول اغتيال الآنسة وهى نائمة فى مخدعها المجاور للمعمل حيث كان البروفسور منهمكا فى عمله وقرر الأطباء ان صحة المجنى عليها تدعو إلى القلق . »

« ولقد أحدث هذا النبأ على قطره رجة فى باريس إذ كان الناس شديدى الاهتمام بالأبحاث العلمية القيمة التى يتولاها البروفسور استنجرسون بمساعدة ابنته . إذ كانا أول من أجريا تجارب فى « الراديو لجراف » فاستطاعت مدام كورى وزوجها على هداها أن يكتشفا الراديوم هذا إلى أن الأستاذ كان معتزما ان يلقى بعد ايام قليلة محاضرة فى مجمع العلوم يتناول فيها بالشرح والإيضاح نظريته الجديدة عن « إنعدام المادة » وهى نظرية مثيرة جريئة يرمى بها إلى هدم المبدأ القديم

الذى درج عليه العلم والقائل بأن المادة لاتنعدم . فكان الجمهور شديد التطلع إلى الاستماع إلى هذه الأبحاث العلمية النقية .

فى صباح اليوم التالى ظهرت الصحف وقد افسحت فى صدرها مكاناً بارزاً تناولت فيه بإسهاب تفاصيل هذه الجريمة المتنكرة . وحسبنا ان ننقل فيما يلى ماكتبه الماتان فى هذا الصدد إذ قالت :

« قد تبدو المعلومات التى يتضمنها هذا المقال مقتضبة مبتورة . . ولكن ماحيلتنا فى الامر وسوء حال المجنى عليها ويأس البروفسور استنجرسون من شفاء ابنته قد جعلا مهمتنا ومهمة البوليس من اشق المهام إذ تعسر الحصول منها على بيانات تفصيلية دقيقة تلقى ضوءاً على حقيقة ماحدث فى الغرفة الصفراء حيث وجدت الآنسة استنجرسون طريحة على الأرض وهى فى قبض النوم تعانى سكرات الموت . »

« وقد اتيح لنا ان نتصل بجاك العجوز (كما يلقبه اهل تلك الناحية) وهو الخادم الذى يتولى شئون الأسرة ، وقد امضى فى خدمتها زمناً طويلا ، فقد كان موجودا مع الأستاذ فى معمله عند وقوع الحادث ودخل الغرفة الصفراء فى نفس اللحظة التى دخل فيها البروفسور استنجرسون .. والغرفة ملاصقة للمعمل . وهما فى سلاملك صغير يقع فى اقصى الحديقة على مسافة اربعمائة ياردة من القصر . »

« وقد تحدث الينا جاك العجوز قائلا : كانت الساعة قد بلغت منتصف الواحدة بعد نصف الليل .. وكنت مع مسيو استنجرسون فى قاعة المعمل حين وقع الحادث . كنت منهمكا فى غسل الآنية والأنابيب بينما كان الأستاذ منكباً على العمل بعد ان آوت ابنته إلى مخدعها عند نصف الليل . فعندما ارسلت الساعة دقاتها الاثنتى عشرة نهضت الآنسة (ماتيلدا) فقبلت اباها وحيتنى ودفعت باب الغرفة الصفراء ودخلت . وقد سمعناها وهى تغلق باب الغرفة بالمفتاح ثم تضع المزلاج خلفه . . فما تمالكت ان ضحكت وقلت لسيدى :

— إن الآنسة شديدة الاحتياط حتى لكأنى بها خائفة من « قطة الشيطان ! »

« ولم يسمع الأستاذ قولى إذ كان منهمكا فى عمله وقد استغرقه التفكير وفى نفس اللحظة سمعت مواء مخيفاً عرفت فيه على الفور مواء « قطة الشيطان » . فسرت الرعدة فى بدنى وتملكنى الخوف وقلت لنفسى :

— يالقطة البغيضة .! ألعلها تريد ان تنفى النوم عن عيوننا طيلة الليل .؟ »

« وذلك لأنى أنام ياسيدى فى السلاملك فى غرفة تقع فوق مخدع الآنسة حتى لاتبقى وحدها ليلا فى هذا الركن القصى من الحديقة . . إذ اعتادت ان تمضى الربيع والصيف وشطرا من الخريف فى هذا البيت الصغير وقد طاب لها المقام فيه . فاذا ماحل الشتاء ارتدت إلى القصر لأن الغرفة الصفراء غير مزودة بمدفأة . »

« قلت لك إنى بقيت فى المعمل مع سيدى بعد انصراف الآنسة . وكان سيدى جالساً إلى مكتبه . اما انا فكنت جالساً على مقعد قريب بعد ان فرغت من عملى .. وجعلت اراقب سيدى وانا اقول فى نفسى :

— ياله من رجل عظيم . إنه متوقد الذكاء . . !

وقد ذكرت لك هذا بنوع خاص لتدرك ان السكون كان يشمل المعمل .. فسيدى جالس يفكر . وانا ايضاً افكر دون ان آتى حركة . ويظهر ان هذا الهدوء اوقع فى نفس القاتل اننا انصرفنا فأقدم على فعلته .

« وفجأة . والساعة تدق إيذانا بأنها قد بلغت الثانية عشر والنصف بعد منتصف الليل انبعث من الغرفة الصفراء صرخة داوية مخيفة . . وسمعنا صوت الآنسة وهى تصيح :

— إلى القاتل .! إلى القاتل .! النجدة . . !

وعلى أثر هذا دوت طلقات نارية اعقبها صوت يدل على وقوع الأثاث وانقلاب المقاعد كأنما نشب عراك بين الآنسة ماتيلدا والقاتل . والمرة الثانية سمعنا صوت الآنسة وهى تزعق :

— إلى القاتل .! النجدة .! أبى .! أبى .!

« وبطبيعة الحال ماسمعنا الصرخة الأولى حتى انبعثنا واقفين — انا

ومسيو استنجرسون — وثبنا إلى الباب واخذنا ندفعه بأجسادنا بكل مافينا من قوة ، ولكنه استعصى علينا بكل اسف فقد ذكرت لك ان الآنسة لم تكتف بإغلاقه بالمفتاح وانما وضعت خلفه الرتاج ايضا ، وحاولنا ان نحطمه فعجزنا لمتانته .

«وكان مسيو استنجرسون اشبه بالمجانين في هذه اللحظة . ولا عجب في هذا وهو يسمع صرخات ابنته من خلف الباب . !

— النجدة .! النجدة .!

وكان صوتها يخفت ويتضاءل تدريجيا كأنما بدأت قواها تخور .

وجعل الأب المسكين يدق الباب بقبضتيه في جنون . . وانهمرت عبراته يأسا وعجزاً .!» وطاف بذهني خاطر مفاجئ . قلت لنفسي :

— لاريب ان القاتل دخل إلى الغرفة من النافذة .! فلا حاول إذن ان اسد عليه طريق الفرار .. ، ولأدخل إلى الغرفة من النافذة كما دخل لأنقذ الآنسة ». «وغادرت السلاملك وانا أجرى كالمخبول».

«والنافذة المقصودة لا تشرف على الحديقة ، وانما تطل على الفضاء خارج السور فكان لا بد لي لبلوغها من الخروج من الحديقة . فجريت صوب البوابة الكبرى وفي طريقي لقيت برنييه البواب وزوجته مسرعين إلى ناحية السلاملك . إذ لاشك ان دوى الطلقات النارية ازعجهما فجاءا لتبين حقيقة ما حدث . فافضيت اليهما في إيجاز بما وقع . وعهدت إلى برنييه باللحاق بمسيو استنجرسون في العمل . على حين طلبت إلى زوجته ان ترافقني لتفتح البوابة . وما مضت خمس دقائق حتى كنا نحن الاثنين واقفين تحت نافذة الغرفة الصفراء.»

« وكانت السماء صافية والقمر يرسل من أشعته ما يبدد الظلمات فاستطعت ان ارى في جلاء ان قضبان النافذة سليمة لم تمس بعد . وأكثر من هذا ان المصراع الخشبي خلف القضبان كان لا يزال على عهده كما اغلقته في المساء فقد اعتدت ان اوصد المصراع الخشبي كل مساء على رغم ان الآنسة ـ مراعاة منها لكثرة عملي ـ أجازت

لي ان لا أبالي بالنافذة واغلاقها لأنها ستتولى الأمر هي بنفسها . »

« نعم . كان المصراع الخشبي مغلقا والعارضة الحديدية خلفه كما وضعتها بنفسي . واذن فلم يدخل القاتل الغرفة عن طريق النافذة كما ان من المستحيل ان يفر منها . وكذلك كان مستحيلا ان اتمكن من الدخول»

«وكان الموقف شديدا يكاد يفقد المرء الصواب .. الباب مغلق من الداخل . والمصراع الخشبي مغلق ايضا ومن الداخل .. وفضلا عن هذا فهناك القضبان الحديدية قائمة على النافذة قريب بعضها عن بعض إلى درجة يتعذر معها ان تمر الذراع بين القضيبين المتجاورين . والآنسة في الداخل مستنجدة .! لا . بل لقد كفت عن الاستنجاد . ولعلها الآن جثة هامدة .! ولكني كنت لا أزال اسمع صوت ابيها وهو يدفع باب الغرفة ويدقه بيديه محاولا ان يحطمه . »

«ورجعت ركضا إلى السلاملك ومعي زوجة البواب . وكان الباب لايزال قائما مكانه مستعصيا على الرغم من محاولات مسيو استنجرسون وبرنييه . وأخيرا انهار امام محاولاتنا مجتمعة فماذا رأينا .؟»

« وينبغي ان انبئك أولا بأن زوجة البواب كانت واقفة خلفنا ممسكة بمصباح للعمل . وهو مصباح قوى شديد الضوء أنار الغرفة كلها . وانبئك أيضا بأن الغرفة الصفراء صغيرة الحجم ضيقة المساحة . وقد زودتها الآنسة استنجرسون بأثاث بسيط عبارة عن سرير كبير من الحديد ومنضدة صغيرة وكومدينو ومغسل ومقعدين .»

«وعلى الضوء القوى المنبعث من المصباح رأينا كل شيء في نظرة شاملة : كانت الآنسة ممددة على الأرض في قميص النوم والمقاعد والمنضدة مقلوبة حولها دلالة على ان عراكا شديدا قد نشب بينها وبين القاتل . ولم يكن هناك شك في انها اخرجت قسرا من سريرها . وكانت مخضبة بالدماء . وعلى عنقها آثار اظافر واضحة جلية وقد خدشت الأظافر العنق ومزقت بعض اللحم . وكان هناك جرح في صدغها الأيمن يسيل منه خيط رفيع من الدم تجمع إلى جانبها .»

«وحين رأى الأستاذ استنجرسون ابنته على هذه الحال جثا إلى

جانبها وقد انطلقت من فيه صرخة اليأس والقنوط . ولما اطمأن إلى ان ابنته ما زالت على قيد الحياة صرف همه إلى العناية بها . أما نحن فقد كنا منهمكين فى البحث عن المجرم الشرير الذى حاول الفتك بسيدتنا »

« ولكن كيف يمكن ان نعلل اختفاءه وعدم العثور عليه . ؟ لم يكن هناك احد تحت السرير او خلف الأثاث . ولم نر إلا آثارا تدل على انه كان موجودا فقد رأينا آثار يده ملوثة بالدماء على الباب والجدران . كما عثرنا على منديل مخضب بالدم وقبعة كبيرة وآثار حذاء كبير ملوث بالسواد او الهباب »

« فكيف استطاع هذا الرجل الدخول ..؟ وكيف استطاع الخروج ..؟ وارجوك ان لا تنسى ياسيدى ان ليس فى الغرفة الصفراء مدفأة فهو لم يهرب من مدخنتها إذ لا وجود لها . ولم يهرب من الباب وهو ضيق صغير وامرأة البواب واقفة على عتبته والمصباح فى يدها . وأنا وزوجها نبحث عن القاتل فى غرفة صغيرة تكاد تكون عارية من الأثاث . اما الباب الذى التصق عند فتحه غصبا بالجدار فلا يمكن ان يصلح ما وراءه مخبأ لإنسان . وكان مستحيلا ان يفر القاتل من النافذة والسياج الحديدى قائم عليها سليم لم تمسه يد »

« فما الذى حدث إذن . ؟ وكيف استطاع الفرار ..؟ لست اكتمك ياسيدى انى بدأت افكر فى هذه اللحظة فى الشيطان .! »

« وفجأة رأيت مسدسى على الأرض .! وكانت رؤيتى هذا للمسدس هى التى ردتنى إلى عالم الحقيقة . اكان الشيطان فى حاجة إلى سرقة مسدسى لكى يقتل الآنسة استنجرسون . ! ولم تداخلنى ريبة فى ان الرجل صعد اولا إلى غرفتى فسرق المسدس من درجى ثم استعمله بعد ذلك فى الإعتداء على الآنسة ماتيلدا وإحصاء الخرطوش تثبت لنا ان القاتل اطلق رصاصتين . »

« ولعلك قد ادركت ياسيدى انه كان من حسن حظى انى كنت موجودا ساعة وقوع الحادث مع البروفسور استنجرسون فى المعمل .

وإلا لكان العثور على مسدسى فى مكان الجريمة سببا فى اتجاه الشبهات إلى ومحاكمتى على جريمة لا شأن لى بها » .

بهذه الكلمات اختتم جاك العجوز حديثه مع مندوب الماتان . وقد علق المحرر على هذا الحديث بقوله :

« هذا ما افضى به إلينا جاك العجوز وقد نشرناه بحذافيره دون اى تحوير وان كنا قد حذفنا كلمات التفجع والحزن التى عبر بها عما يحس به نحو سيدته . وقد هممنا بأن نوجه بعض الأسئلة إلى جاك العجوز (جاك لويس موستيه) لولا ان اوسل قاضى التحقيق فى استدعائه إذ كان يتولى تحقيق الحادث فى البهو الكبير فى القصر .»

« وقد استحال علينا الدخول إلى قصر جلانديه . كما ان غابة السنديان كانت محفورة بنفر من الشرطة ورجال البوليس السرى وهم يبحثون ويتقفون عن الآثار التى يمكن ان يكون القاتل قد خلفها وراءه .»

« وقد امضينا سحابة النهار فى فندق قريب من القصر مترقبين انصراف مسيو ماركيه قاضى التحقيق . وفى منتصف الساعة السادسة رأيناه يغادر القصر وفى رفقته كاتبه فاستطعنا ان نوجه إليه الأسئلة التالية قبل صعوده إلى مركبته :ـ

— أتستطيع يا مسيو ماركيه ان تفضى إلينا ببعض المعلومات دون ان يكون فى ذلك ما يتنافى ومصلحة التحقيق .؟

فكان الجواب :

— مستحيل ..! مستحيل ..! وكل ما يمنى ان اصرح به هو ان هذه الجريمة بلغت من التعقيد حداً لم ار له مثيلا ..! وكلما توهمنا اننا وقفنا على شىء جديد ادركنا اننا ابعد ما نكون من إدراك اى شىء ..!

وقد رجونا مسيو ماركيه ان يزيد الأمر إيضاحا فاتى إلينا بالجواب التالى :

— إذا لم يسفر التحقيق عن الاهتداء إلى حقائق مادية اخرى كان معنى ذلك ان الحادث سيظل غامضا تكتنفه الظلمات . ولكننى ارجو — على الأقل صونا للعقل البشرى من التخبط فى الأوهام والخرافات — ان يؤدى فحص

ارضية الغرفة وسقفها وجدرانها إلى العثور على مخبأ سرى اتخذه القاتل سبيلا إلى الخروج . وقد امرت باجراء هذا الفحص غداً كما امرت باستدعاء المهندس الذى قام ببناء السلامك منذ اربعة اعوام . فبغير هذا الاكتشاف تنهار الاستدلالات المنطقية المعقولة . إننا نعرف كيف دخل المجرم الغرفة . لقد دخلها فى غفلة من اهل الدار واختبأ تحت الفراش مترقبا قدوم الآنسة استنجرسون . ولكن كيف خرج ؟ تلك هى عقدة الحادث ! فإذا لم نجد ممراً سريا ايا كان نوعه كان علينا ان نسلم بما يقول جاك العجوز من ان الشيطان دخلا فى الحادث ..!

واختتم المحرر مقاله بقوله : « وقد اردنا ان نعرف ما يعنيه جاك العجوز بقوله (قطة الشيطان) فاستفسرنا عن ذلك من صاحب فندق كاسيل فأنبأنا ان فى تلك الناحية عجوزاً تدعى الأم اجينو تقتنى قطة تموء فى بعض الأحيان اثناء الليل مواء مزعجا مخيفا ، فلقبوها بقطة الشيطان . اما الأم اجينو فامرأة سليمة الطوية ، نقية النفس ، تقطن كوخا صغيراً فى قلب الغابة .

« فنحن الآن إزاء الغرفة الصفراء ، وقطة الشيطان ، والأم اجينو ، والشيطان ، وجاك العجوز ، وكلها عوامل ذات شأن بالجريمة سواء عن قرب او بعد ، فرجاؤنا — كما قال قاضى التحقيق — صونا للعقل البشرى من التخبط فى الأوهام والخرافات — ان تنكشف حقيقة هذا اللغز الغامض ، ونشير أخيرا إلى ان حالة الآنسة استنجرسون سيئة جداً ، وانها فى حالة خطرة قد لا يمتد معها اجلها حتى الصباح . »

ثم ذكرت الماتان فى طبعتها المسائية ان مدير إدارة البوليس السرى ارسل برقية إلى فردريك لارسان كبير مفتشى البوليس السرى يأمره فيها بالعودة فورا إلى باريس ، إذ كان قد سافر إلى لندن لشأن يتعلق بقضية السندات المسروقة .

الفصل الثانى

أرسين لوبين يتدخل

كنت لا ازال جالسا فى فراشى اطالع مقال الماتان حين دخل

صديقى ارسين لوبين وعيناه تتألقان انفعالا ، واومأ إلى الصحيفة وهى منشورة بين يدى وقال : هيه ..؟ أقرأت هذا المقال يا عزيزى روبير ..؟

— اتعنى حادث قصر جلانديه ..؟ — نعم . الغرفة الصفراء .

ما رأيك فى هذه الجريمة — انى اعتقد ان الشيطان هو الذى اقترف الجريمة او على الأقل قطة الشيطان .

— دع المزاح الآن يا صديقى . ففكرت برهة ثم اجبته بقولى :

— الحق يا صديقى انى اعتقد ان جاك العجوز هو القاتل ، وقد اخطأ خطأ فاحشا حين ترك مسدسه وراءه ، واليوم يكشف الفحص الهندسى عن المخبأ السرى الذى استعمله فى دخوله وخروجه بحيث تمكن من العودة إلى جانب سيده قبل ان يلحظ هذا غيبته .

فارتمى لوبين على احد المقاعد واشعل سيجارة ومضى يدخن بضع دقائق وهو صامت لا يتكلم ثم تحول إلى قائلا :

— إنك يا صديقى محام نابغ موهوب ، ولك مقدرة فذة على انقاذ المجرمين من القصاص ولكن لو انك كنت قاضيا لكانت لك مقدرة فذة على إرسال الأبرياء إلى المشنقة . وبعد سكتة قصيرة استطرد يقول :

— جاك العجوز طاهر برىء . . ولن يجدوا ممراً سريا . . وسيزداد لغز الغرفة الصفراء غموضا وتعقيدا .. وهذا هو سر اهتمامى بالأمر فقلت اسأله : الديك اية فكرة عن الطريقة التى اتبعها القاتل فى الفرار ..؟ فهز كتفيه وقال :

— كلا .. ولكن لدى فكرة مصيبة عن المسدس .. ويمكننى ان اؤكد لك فى هذا الصدد ان القاتل ليس هو الذى اطلق النار .

— ماذا تقول ؟ ومن الذى استعمل المسدس إذن ..؟

— الآنسة استنجرسون طبعا . ماذا تعنى فانى غير فاهم ما ترمى إليه .

فهز لوبين كتفيه وقال يسألنى : الم يسترع بصرك شىء ما فى مقال الماتان ؟

— كلا .. وكل ما هنالك ان الحادث بدا فى نظرى على غاية من الغرابة !

— وما رأيك فى ان الآنسة (استنجرسون) اوصدت باب المخدع بالمفتاح

— هذا شىء طبيعى .

— حقا . ؟ ووضعها المزلاج خلف الباب . — المزلاج .
— نعم .. فانها لم تكتف باغلاق الباب بالمفتاح من الداخل وإنما اتخذت حيطة أخرى بأن تثبت خلفه الرتاج .! ويلوح لى أنها ماكانت لتعمد إلى هذه الحيطة المزدوجة لولا أنها تخاف شخصا معينا . وأكبر من هذا فى الدلالة أنها أخذت مسدس جاك العجوز دون ان تنبئه ولاشك انها تكتمت الأمر حتى لاتزعج من حولها لاسيما والدها .
واقد وقع ما كانت تخشى فدافعت عن نفسها . ونشب عراك عنيف بينها وبين القاتل ولكنها استطاعت أن تصيب يده . وهذا هو السر فى طابع اليد الملونة بالدماء الظاهر على الجدران والباب .. إنه طابع رجل أخذ يتحسس فى الظلام طريقه إلى الخروج . ولكنها تباطأت قليلا فى إطلاق النار فتمكن القاتل من أن يهوى على صدغها الأيمن بتلك الضربة التى سببت لها الجرح .
— إذن فجرح الصدغ الأيمن ليس ناشئا عن طلق نارى .؟
— لم تذكر صحيفة الماتان ان الجرح كان بسبب رصاصة أصابتها. وانى أعتقد كما قلت لك ان الآنسة استنجرسون هى التى اطلقت النار إذ بذلك تتماشى الحوادث مع السياق المنطقى . والآن ينبغى ان نتساءل عن السلاح الذى استعمله القاتل .؟ لقد حاول فى اول الأمر ان يخنقها ثم حاول ان يضربها على صدغها لتفقد رشدها . فاستعمله فى الحالين سلاحا صامتا لاصوت له . دليل على انه يعلم ان جاك العجوز يقيم فى الغرفة الواقعة فوق الغرفة الصفراء . ولهذا تحاشى استعمال سلاح من شأنه ان ينبه جاك العجوز . وليس بعيداً ان يكون سلاحه هراوة او قضيبا من الحديد . فقلت معترضاً :
— فليكن . غير انه ليس فى هذا كله مايلقى ضوء على الطريقة التى تمكن القاتل بواسطتها من الخروج من الغرفة . !!
فأجابنى لوبين وهو ينهض واقفاً : هذا صحيح . ولما كانت طريقة الخروج هى العقدة الوحيدة التى لابد من إيضاحها ، فقد عولت على الذهاب إلى قصر جلانديه وجئت ادعوك إلى مرافقتى .

— مرافقتك .؟ — نعم ياصديقى العزيز فأنى فى مسيس الحاجة اليك . لقد عهدت إلى جريدة ايكو دى فرانس رسمياً بهذه القضية . ولابد لى من الشروع فورا فى تحرياتى .
— ولكن على اى وجه يمكننى ان اسدى خدمة اليك .؟
— ان مسيو روبرت دارزاك موجود فى القصر .
— هذا صحيح . ولست اشك فى ان الحزن قد اشتد به .
— وانى لمتلهف الى مقابلته . ومحادثته . !
وقد نطق بهذه الجملة فى لهجة ادهشتنى واسترعت انتباهى فأرسلت اليه بصرى وقلت اسائله : — اتتوقع شيئاً هاماً من هذه الناحية .؟
— نعم . ثم غير فجأة مجرى الحديث فطلب الى ان أبادر بارتداء ثيابى ولاذ بالصمت المطبق .
وكانت معرفتى بمسيو روبرت دارزاك ترجع الى يوم كنت سكرتيرا للاستاذ باربنيت ديلاتور اذ اسديت له بعض الخدمات . وكان دارزاك وقت وقوع هذه الحوادث فى الأربعين من العمر ويشتغل استاذا للطبيعيات فى السوربون . وكانت صلته وثيقة بآل استنجرسون فبعد خطوبة للآنسة استنجرسون دامت سبع سنوات قيل انه على وشك الاقتران بها . وكانت الفتاة على رغم بلوغها الخامسة والثلاثين لاتزال باهرة الجمال ، فياضة الشباب .
وبينما كنت منهمكا فى ارتداء ثيابى قلت لصديقى ارسين لوبين :
— ولكن خبرنى . الديك اية فكرة عن الطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها القاتل . ؟
— نعم . . انى اعتقد انه من بيئة رفيعة . غير انى لست موقنا من الأمر .
— ومالذى يحملك تميل الى هذا الاعتقاد ؟
— قبعته القذرة ومنديله ذو القماش العادى الرخيص وآثار الحذاء الكبير الخشن على ارضية الغرفة .

فقلت : فهمت . ان هذه الآثار تدل على الفقر والفاقة ولكنك تريد ان تقول ان القاتل ما كان ليخلف وراءه هذه الآثار المتعددة الكثيرة لو انها كانت تدل على الحقيقة . فتركها دليلا على انها لا تمثل الحقيقة فى شىء .

فضحك لوبين وقال : يلوح لى ياصديق انى سأستطيع فى نهاية الأمر ان اجعل منك بوليسا سريا او شبه بوليس سرى .

الفصل الثالث

الشبح

بعد نصف ساعة كنت وارسين لوبين على افريز المحطة ننتظر قدوم القطار . وقد رأينا مسيو ماركيه قاضى التحقيق مقبلا يرافقه سكرتيره وقد امضى القاضى ليلته فى باريس ليشهد الحفلة الأولى لتمثيل رواية من تأليفه قدمها الى مسرح اسكالا تحت اسم مستعارا اتخذه لنفسه وهو كاسليجات ريدندو .

وذلك ان مسيو ماركيه كان مولعا بالفن الروائى . وعلى رغم تقدمه فى السن لم يكن يحفل إن تخطئه الترقية إلى من م احدث منه عهدا . وحسبه من مهنته ، فضلا عن انها تؤاتيه فرصة للوقوف على معضلات جنائية او اجتماعية يمكن ان يتخذ منها مادة لرواياته .

ولا ريب ان مسيو ماركيه طاب نفسا بتحقيق قضية الغرفة الصفراء إذ انها بما اكتنفها من غموض وابهام كانت حقيقة بأن ترضى نزعاته الروائية . والواقع انه كان شديد الابتهاج بهذه القضية . وقد صرف تفكيره إليها لا بصفته قاضيا وإنما بصفته روائيا يطمع فى « عقد » روائية جديدة ..! ويكره ان ينتهى التحقيق إلى « الفصل الأخير » حيث يهتك الستر ويتجلى السر ..!

وفى اللحظة التى اقتربنا فيها من مسيو ماركيه سمعناه يقول لكاتبه . وهو يتنهد : دعنا نتمنى ياعزيزى مالين ان لا يفسد المهندس هذا اللغز البديع بعثوره على مخبأ سرى .فقال مالين مجيبا :

— لكن مطمئنا ياسيدى ! قد يهدم معول المهندس السلامك ولكنه ان يضير قضيتنا ..! لقد درست الجدران والأرضية والسقف ونقرت عليها بيدى فوجدتها صماء . وانى لموقن من ان ليس هناك ممر سرى . فلا داعى إذن للقلق . نعم . ان التحقيق لن يفضى إلى اى اكتشاف .

ولحقنا الكاتب ونحن مقبلان فاوماً إلينا برأسه منبها رئيسه فقطب القاضى جبينه . وحين رأى ارسين لوبين يدنو منه وقبعته فى يده وثب فى إحدى المركبات الخالية وقال يخاطب كاتبه فى صوت مسموع

— لا اريد ان اقابل احدا . ولاسيما رجال الصحف ..!

واعترض مالين طريق صديق لوبين وهو يهم بالصعود إلى المركبة فى اثر القاضى قائلا: معذرة ياسيدى . ان هذه المركبة محجوزة ..!

فقال لوبين مجيبا : — انى مندوب «صحيفة إيكودى فرانس» واريد ان اقابل مسيو ماركيه .

فقال الكاتب مقاطعا : ان مسيو ماركيه مشغول ياسيدى . اما التحقيق...

فقال لوبين بدوره فى لهجة تنم على الاستخفاف :

— التحقيق ..! صدقنى ياسيدى انى لا اكترث بهذا التحقيق .؟ إنى لست مخبرا التقط الحوادث من هنا وهناك . انى الناقد الفنى لصحيفة ايكودى فرانس . وسأكتب مقالاتى فى هذا المساء عن رواية مسيو ماركيه التى مثلت بالأمس على مسرح اسكالا .

وحين سمع مسيو مالين هذه الكلمات قال مرحبا :— تفضل ياسيدى. تفضل.

وتقدمه إلى حيث كان يجلس القاضى فسرت فى اثرهما .

وارسل القاضى إلى كاتبه نظرة شديدة تنطوى عن اللوم وابتدره لوبين بقوله :

— لا تؤاخذ ياسيدى سكرتيرك إذ اذن لى بالدخول فإنى ماجئت اشد مقابلة مسيو ماركيه قاضى التحقيق وإنما جئت اسعى إلى مسيو كاسليجات ريدندو المؤلف الروائى . فاسمح لى ياسيدى ان اتقدم إليك بالتهنئة بصفتى الناقد الفنى لصحيفة ايكو دى فرانس .

وحين سمع القاضى هذه الكلمات انفرجت أساريره . وعلا الاشراق

وجهه . وقال أنه ما عمد إلى كتمان اسمه إلا لأنه لا يزال فى بداية الطريق كمؤلف مسرحى . ثم أردف يقول :

— هذا إلى انى اعتقد ان عملى ككاتب روائى قد يؤثر تأثيراً سيئاً فى مستقبلى القضائى .

فقال أرسين لوبين : تيقن ياسيدى القاضى انى سأنزل عند رغبتك فلا اذكر للقراء اسمك الحقيقى .

وبدأ القطار يتحرك .

وقال القاضى وقد أدهشه بقاؤنا فى القطار على رغم سيره :

— انك لم تنزل ياسيدى .. — انى أنوى السفر ياسيدى القاضى .

ثم اردف على الفور : ان قضية الغرفة الصفراء لغز معقد .

— لغز معقد . انها أعقد لغز شهدته أو سمعت به فى حياتى . واخوف ماأخاف هو ان يحشر الصحفيون انفسهم فى القضية بما هو معروف عنهم من الفضول فيميطون اللثام عن السر الخفى .

فقال ارسين لوبين مؤمنا : صدقت ياسيدى . فان الصحفيين مطبوعون على الفضول يضعون انوافهم فى كل شىء ، ولكنى لم اطرق هذا الموضوع إلا لأن الصدفة جمعت بيننا وجعلتنى اسافر فى مركبتك .

— وإلى اين تقصد ياسيدى . ؟ فكان جواب لوبين :

— إلى قصر جلانديه . فقطب مسيو ماركيه جبينه . ثم قال :

— لن يؤذن لك بالدخول يامسيو راؤول .

فقال لوبين وقد تهيأ للنضال : — اتنوى ان تمنعنى .؟

— كلا بالطبع ، فانى نصير للصحافة والصحافيين ، ولكن مسيو استنجرسون قد اصدر أمرا مشددا بعدم السماح لأحد بالدخول ولم يستطع احد من الصحفيين ان يتخطى عتبة القصر بالأمس .

فقال ارسين لوبين فى جذل : هذا خير لى . سأصل إذن قبل سواى .!

وعض مسيو ماركيه على شفته ولاذ بالصمت . وان كان قد سرى عنه قليلا حين انبأه لوبين انه انما يقصد القصر ليقابل صديقه

العزيز مسيوروبرت داروزاك خطيب المجنى عليها (هذا وإن كان لوبين لا يكاد يعرف داروزاك إلا لقبه) .!

وقال لوبين مستطردا : مسكين روبرت .! لاريب أن هذه النكبة أفقدته الرشد فإنه يحب الآنسة استنجرسون حبا شديدا .

فقال مسيو ماركيه مؤمنا : أنه حقا شديد الحزن .!

— فلنسأل الله أن يشفى الآنسة استنجرسون .

— هذا ما نرجوه . لقد قال لى أبوها بالأمس أنه لن يعيش ساعة واحدة إن ماتت ابنته . ولوحدث هذا لكان فيه خسارة محققة للعلم .

— أن الجرح الذى فى صدغها خطير . أليس كذلك .؟

— طبعا . ولن تشفى إلا بمعجزة . لقد هوت الضربة على صدغها بكل ما يمكن من العنف .

فأرسل إلى لوبين نظرة تنم عن الظفر والانتصار كأنما يقول لى : « ألم أقل لك هذا .؟ » ثم قال مخاطبا القاضى :

— إذن فاصابتها ليست ناجمة عن طلق نارى .؟

فبان الارتباك الشديد على وجه مسيو ماركيه وأدركه الندم على ما زل به لسانه فقال : انى ما قلت شيئا . ولا أريد أن اقول شيئا . ولن اقول شيئا .؟

ثم أدار رأسه إلى ناحية كأنه كأنما انقطعت الصلة بيننا وبينه .

ولكن ارسين لوبين لم يكن بالرجل الذى ينهزم امام هذه المناورات فقد دنا قليلا من القاضى واخرج من جيبه صحيفة الماتان وهزها قليلا امام عينى القاضى وهو يقول : هناك موضوع استطيع أن أطرقه دون أن أعد نفسى فضوليا اقرأت ياسيدى القاضى ما كتبته الماتان عن الحادث . ؟ انه سخيف أليس كذلك . لا أشاطرك هذا الرأى .

— ماذا تقول . ؟ أيكون للغرفة الصفراء نافذة واحدة مسورة لم تنزع قضبانها وباب واحد موصد من الداخل ومع ذلك لا يجدون للقاتل اثراً؟

— تلك هى الحقيقة ياسيدى .! تلك هى عقدة الحادث .!

ولاذ لوبين بالصمت طويلا وقد استغرقه التفكير . . وبعد ربع ساعة رفع رأسه وقال مخاطبا القاضي :

— كيف كان شعر الآنسة استنجرسون مصففا في ذلك المساء .

— لست افهم ماترمى إليه بتوجيه هذا السؤال .

— إنه نقطة ذات اهمية خطيرة ياسيدى .. أكان شعرها مفروقا في الوسط . نعم .. إنى موقن من ان شعرها في ليلة الحادث كان مفروقا من الوسط ومرسلا على الجانبين بحيث يغطى الصدغين .

فقال القاضي معترضا :

— إنك مخطىء في هذا يامسيو راؤول اشد الخطأ .. كان شعرها في تلك الليلة معقوصا على قمة الرأس . واستطيع ان اؤكد لك هذا لأننا فحصنا الجرح فحصا دقيقا ولم يكن بشعرها اى اثر للدم .

— اموقن انت من هذا ياسيدى . اموقن انت من ان شعرها كان معقوصا على شكل عقدة ، لامفروقا من الوسط ومرسلا على الجانبين .؟

— بكل تأكيد .. وإنى اذكر ان الطبيب قال انه لو كان شعرها مسدلا على الجانبين فوق الصدغين لخفف ذلك من شدة الضربة التى اصابت صدغها الأيمن .. ولكن الشيء الذى يدهشنى شدة إهتمامك بهذه المسألة مع مايبدو لى من تفاهتها . فقال لوبين في صوت خافت :

— اوه .. ! لو ان شعرها كان مفروقا من الوسط .. ! لغز عجيب ولكن لابد لى من إماطة اللثام عنه .. ! ولكن خبرنى ياسيدى القاضي اجرح الصدغ خطير .

— خطير جداً . — وبأية اداة ضربها الجانى .

— هذا سر من اسرار التحقيق .. ! — وهل عثرتم على هذه الأداة .

غير ان القاضي لزم الصمت ولم يحر جوابا . — وجرح العنق .

وذكر لنا مسيو ماركيه ان جرح العنق كان يبلغ درجة بليغة من الخطورة ، وان الأطباء قرروا ان الموت كان محققا لو ان الجانى استمر يضغط العنق ثوانى اخرى قليلة .

وبعد سكتة قصيرة قال لوبين :

— لغز محير ، هل لك ياسيدى القاضي ان تصف لى منافذ السلاملك ؟

وابتدأ مسيو ماركيه يدا أمام الحاح لوبين من الافضاء بما يعلم فقال:

— للسلاملك خمسة منافذ .. اولا باب الردهة الذى يفضى إلى الحديقة ، وهو يقفل من تلقاء ذاته بحركة آلية ولايفتح إلا بالمفتاح، وله مفتاحان يحتفظ مسيو استنجرسون بأحدهما ويحتفظ جاك العجوز بالثانى . وعندما دخلوا إلى الغرفة الصفراء كان باب الردهة مغلقا كالمعتاد وكل كل منهما يحمل في جيبه المفتاح الخاص به . اما نوافذ السلاملك فهى : نافذة في الغرفة الصفراء ، ونافذتان في المعمل ونافذة في الردهة . ونوافذ المعمل والغرفة الصفراء تطل على الفضاء خارج القصر اما نافذة الردهة فتطل على الحديقة .

فقال لوبين : ومن هذه النافذة فر الجانى .

فحدجه مسيو ماركيه بنظرة فاحصة وقال : — وأنى لك معرفة هذا .؟

فاسترسل لوبين متجاهلا السؤال الموجه إليه :

— وسنميط اللثام فيما بعد عن الطريقة التى هرب بها من الغرفة الصفراء . لكن مما لا ريب فيه أنه غادر السلاملك بواسطة نافذة الغرفة

— المرة الثانية أسألك : كيف عرفت هذا .؟

— كيف .! ان الأمر يسير جداً لا يحتاج إلى ذرة من التفكير . على ان فراره عن طريق باب السلاملك كان مستحيلا فلابد انه خرج من إحدى النوافذ . ولما كانت النوافذ كلها مسورة بقضبان من الحديد عدا نافذة الردهة فلا يمكن ان يكون قد خرج إلا منها . هذا أمر بديهى .!

فقال مسيو ماركيه : هذا صحيح . ولكن الشيء الذى غاب عنك هو ان نافذة الردهة مزودة بمصراع من الحديد . وكان هذا المصراع موصداً من الداخل بواسطة المزلاج . فكيف هرب القاتل من هذه النافذة مع بقاء المصراع الحديدى موصداً .؟ ومع ذلك فنحن على يقين من

انه لم يهرب إلا منها فقد عثرنا على بقع من الدم على الجدار من
الداخل وعلى المصراع كما وجدنا على أرض الحديقة تحت النافذة آثار أقدام شبيهة بالآثار التى رأيناها فى الغرفة الصفراء . فكيف يمكن أن نعلل الأمر .! هل مر من بين فجوات المصراع كالأشباح او الظلال على ان اغرب مافى هذا اللغز خروج الجانى من الغرفة الصفراء، وعبوره المعمل إذ لم تكن له مندوحة من عبوره لكى يبلغ نافذة الردهة . إنها عقدة عويصة اعتقد ات لا سبيل إلى حلها قبل انقضاء زمن طويل .

وقال لوبين متسائلا : أيمكن أن تكون هذه النافذة قد أغلقت واحكم رتاجها عقب فرار القاتل .! — هذا هو التعليل الوحيد الطبيعى ولكنه يبدو فى نظرى بعيداً عن الواقع إذ يقتضى وجود شركاء للجانى . وأين يمكن ان نلتمس هؤلاء الشركاء .؟! وبعد سكتة قصيرة اردف يقول :

— ارجو ان تكون صحة الآنسة استنجرسون قد تقدمت اليوم حتى يتسنى لى استجوابها . وقال لوبين يسأ :

— وما رأيك فى الكرار الذى ينام فيه جاك العجوز .!

— آه . الكرار . ان فيه نافذة او كوة بعبارة اخرى .

ولما كانت تشرف على الفضاء الواقع خلف القصر فقد اقام عليه مسيو استنجرسون قضبانا حديدية شأنها فى ذلك شأن النوافذ . وقد وجدت قضبان الكوة سليمة كما ان مصراعها الذى يفتح من الداخل كان مغلقا وفضلا عن هذا فاننا لم نهتد إلى اى اثر يمكن ان نستنتج معه ان القاتل دخل او خرج عن طريق الكرار .

— إذن فأنت تعتقد ياسيدى القاضى ان الجانى إنما استعمل نافذة الردهة لفراره .؟ — كل شىء يدعم هذا الفرض .

— وهذا هو رأيى . وغرق لوبين برهة فى التفكير ثم قال :

— ولكن مادمت لم تجد اثرا يدل على دخول الجانى إلى الكرار أو غرفة جاك العجوز بعبارة ادق فمعنى ذلك ان لا دليل لدينا على ان الجانى هو الذى سرق مسدس جاك !

— ليس فى الكرار غير آثار جاك نفسه ومن حسن حظه انه كان فى المعمل مع مسيو استنجرسون ساعة وقوع الحادث وإلا لأخذناه بالجريمة

وأنشأ مسيو ماركيه يتحدث عن المسدس فقال إنهم عثروا فى الغرفة الصفراء على آثار طلقتين ناريين أحدهما فى الجدار والثانى فى السقف .

فهتف لوبين يقول :

— فى السقف .! فى السقف .! هذا بديع جداً .!

وعلى أثر هذا . ساد الصمت حتى انتهى القطار إلى محطة ابيناى سيرورج . فاستقل القاضى وسكرتيره مركبة بعد أن حيانا . وسأل لوبين أحد المارة عن الوقت الذى يستغرقه بلوغ قصر جلانديه سيراً على الأقدام فلما عرف أنه لايزيد على ساعة ونصف التفت إلى قائلا :

— إنى أوثر أن أذهب ماشياً حتى تتاح لى فرصة التفكير .

فسألته قائلا : خبرنى .. أبدأت الأمور تنجلى .؟

— لا أظن ذلك . بل لعلها زادت تعقيدا . وإن كنت لا أكتمك أنى انتهيت إلى فكرة معينة . — أية فكرة .؟

— يؤسفنى أنى لا أستطيع أن أصارحك بشىء الآن . وكل ماهنالك أن فكرتى فيها حياة أو موت شخصين .

— أتعتقد أن للجانى شركاء .؟ — كلا .

وبعد أن سرنا قليلا سمعته يقول : يالها من إمرأة مسكينة .!

فقلت أسأله : — اتعنى الآنسة استنجرسون .

— نعم . انها امرأة نبيلة . وتستحق الرحمة والرثاء . وهى متينة الأخلاق . قوية الارادة . ولعمرى . لعمرى ...

وسكت فقلت : — إنك تعرفها إذن .

— كلا . وإن كنت قد رأيتها مرة واحدة .

— إذن من اين عرفت إنها قوية الارادة .

— لأنها صمدت للقاتل .. لأنها دافعت عن نفسها بشجاعة نادرة وام من هذا بسبب الرصاصة التى استقرت فى السقف .!

وارسلت بصرى إلى ارسين لوبين ظنا منى انه يهزأ بى ولكنى لقيت امارات الجد ظاهرة فى ثنايا وجهه . فأخذت اسائل نفسى عما يعنى بهذه الكلمات ولكنى لم اشأ ان اطرح عليه هذا السؤال املى بأنه يمقت ان يسأل حين يؤثر ان يلوذ بالصمت . على انه مالبث بعد سكتة قصيرة ان اوضح لى مايرمى اليه فى كلمات وجيزة . ففهمت .

نعم . فهمت كل شىء . ولم يعد هناك مايخفى على . ولقد استغربت كيف لم افطن إلى الحقيقه وهى مهمة ميسورة لايكتنفها شىء من الغموض .

الفصل السابع

فى قلب الطبيعة

قصر جلانديه من اقدم قصور فرنسا التاريخية وقد قام فى بقعة منعزلة تحدها الغابات من ناحية والتلال من ناحية اخرى . وعند اقصى الغابة كنيسة عدت عليها يد الزمن يقال إنها تضم رفات القديسة سانت جنفييف فحيثما ارسلت البصر لاترى إلا سطوة الطبيعة وآثار الطبيعة حتى ليخيل اليك انك جافيت العالم والمدنية وانقلبت إلى عهد العصور الأولى .

وفى هذا القصر يقيم البروفسور استنجرسون وابنته منقطعين لأبحاثهما العلمية . وقد طاب للعلامة الشهير ان يتخذ مقامه فى قلب الغابة بعيدا عن باريس حتى لايزعجه فضولى ثقيل فيقطع عليه سلسلة ابحاثه . او يحاول ان يطلع على اسرار عمله دون ان يبالى بما طبعته يد الزمن على القصر من آثار الوحشة والغموض حتى لكأنه لا يصلح إلا ان يكون مسرحا للموت وللمآسى والألغاز .

وعندما اشترى البروفسور استنجرسون القصر منذ خمسة عشر عاما كان خاليا . وكذلك كان شأن قصر بمونت القريب . فلولا بيوت صغيرة متناثرة فى تلك المنطقة لكانت مهجورة لا يطرقها انسان .

ولكن هذه العزلة هى التى اجتذبت مسيو استنجرسون وفتنته

لقد رجع من امريكا بعد ان استفاضت له الشهرة الداوية وبعد أن اصابت مؤلفاته العلمية رواجا منقطع النظير . ولقد اثار كتابه « انعدام المادة بواسطة التيارات الكهربائية » رجة عنيفة فى الأوساط العلمية . ومسيو استنجرسون فرنسى النشأة وان كان أمريكى المولد ، وقد امضى فى امريكا أعواما طويلة بسبب مسائل تتعلق بالميراث فلما استقرت الامور رجع إلى فرنسا وقد أصاب ثروة جسيمة . فمكنته هذه الثروة من مواصلة ابحاثه العلميه والانفاق على التجارب المختلفة التى يقوم بها . وقد اخترع طريقتين او ثلاثا للصباغة فلم ير ان يحتكر لنفسه أرباح هذه الاختراعات وانما أباحها للعالم يستفيد منها .

وكانت الآنسة استنجرسون عند عودته من امريكا فى العشرين من عمرها . مليحة الوجه . باهرة الحسن لها من امها الفرنسية رشاقة الباريسيات . ومن جدها لأبيها فتوة الأمريكيين وحيويتهم .

وما فرح أبوها بما اصاب من ثروة إلا لاطمئنانه إلى انه بهذه الثروة يستطيع ان يقدم إلى ابنته بائنة كبيرة عند زواجها . ومع ذلك فقد دفن نفسه (وابنته معه) فى قصر جلانديه فى الوقت الذى اعتقد فيه اصدقاؤه انه سيدفع بها إلى غمار الحياة الاجتماعية . وقد صارحه بعضهم بما عراهم من دهشة لهذا التصرف فكان جوابه :

— تلك هى رغبة ابنتى .! انها هى التى طلبت ان نقيم فى قصر جلانديه ..!

وحين سئلت الفتاة فى هذا الصدد قالت :

— وهل يطيب العمل إلا فى عزلة عن الناس .؟

وذلك انها كانت تساعد أباها فى عمله وان لم يخطر ببال احد ان رغبتها العلمية ستشتد بها درجة تحملها على نبذ عشرات الشبان الذين تقدموا اليها منذ خمسة عشر عاما يخطبون ودها .

ولكن هذا الاعتكاف لم يحل دون الأب وقبول بعض الدعوات الى المآدب فاذا ماظهر وإلى جوارة ابنته بهرت الأبصار بحسنها . ولكن تحفظها مالبث بعد سنوات قليلة ان صرف الشبان عنها .

ولكن احدهم اصر على التقرب منها والتودد اليها حتى لقبه اصدقاؤه « بالخطيب المستديم » . وهذا الخطيب هو مسيو روبرت دارزاك الذى كان لا يزال متعلقا بها على رغم بلوغها الخامسة والثلاثين من العمر وعلى الرغم من انها لم تبد أى ميل الى اتمام الزواج .

وفجأة — قبل وقوع الجريمة بأسابيع قليلة — ذاع فى باريس ان الآنسة استنجرسون رضيت ان تتزوج مسيو دارزاك . ! بعد خطوبة دامت خمسة عشر عاما سيتم الزواج .! وحين سئل مسيو دارزاك فى هذا الصدد لم يحاول ان ينفى الخبر ، فامن الناس بما رددته الألسن . وفى ذات مساء صرح البروفسور استنجرسون وهو يغادر دار المجمع العلمى عقب القائه احدى المحاضرات بأن الزواج سيتم فى قصر جلاندييه عقب فراغه وابنته من كتابة بحثهما النهائى فى انعدام المادة وصيرورتها الى « اثير . »

ولكن العالم مالبث ان فوجىء بتلك الجريمة المنكرة التى كادت الآنسة استنجرسون تذهب ضحيتها .

الفصل الخامس

الكلمات السحرية

سرنا بضع دقائق فى محاذاة جدار مرتفع يشتمل القصر فى داخله.

فلما اشرفنا على البوابة رأينا رجلا منحنيا على الأرض يفحصها فى اهتمام وكان منهمكا فى عمله الى درجة جعلته لايرانا ونحن ندنو ثم انتصب واقفا ونظر فى راحة يده ، واخذ يسير فى خطوات طويلة ، ثم شرع يركض ، وللمرة الثانية نظر فى كفه ، وامسك بذراعى وقال همسا :

— صه ..! هذا هو فريديك لارسان ..! احذر أن تزعجه .

فقد كان لوبين شديد الاعجاب بالشرطى السرى الشهير لارسان . وكنت اعرف ان له شهرة مستفيضة وان لم تتح لى الظروف مقابلته

وقد ابلى بلاء حسنا فى كثير من القضايا حتى قيل انه ابرع شرطى فى أوربا . ولطالما استعانت بخبرته ادارات البوليس فى المانيا وانجلترا وايطاليا . بل امريكا أيضا . ولهذا لم يكن غريبا ان يبادر مدير البوليس بالاستعانة من انجلترا فورا ليتولى جلاء لغز الغرفة الصفراء .

ولما اقتربنا منه ادركت ان الشىء الذى ينظر اليه فى راحة يده انما هو ساعته . ويظهر انه كان يحسب الوقت ثم رأيناه يجرى مرة اخرى صوب البوابه . ثم وقف دفعة واحدة ونظر فى ساعته وهز كتفيه فى عدم اكتراث ودفع البوابة ودخل الحديقه وعند ذلك حانت منه لفته فرآنا مقبلين .

وأسرع اليه أرسين لوبين ورفع قبعته يحييه فى احترام وقال يسأله :

— أيمكنك ان تنبئنى يامسيو فريدريك اذا كان مسيو روبرت دارزاك موجودا فى القصر .. ؟ ان صديق هذا محام من باريس ويريد ان يلقاه لأنهما صديقان حميمان .

— الحق انى لست ادرى ان كان موجودا ام غير موجود .

فسال البواب اذن :

فابتسم لارسان وقال : لاسبيل لك الى البواب يامسيو راؤول

وكان لوبين يعرف الشرطى الشهير اذ التقى به من قبل اكثر من مرة بصفته مندوب جريدة ايكو دى فرانس .

وقال لوبين يسال : — ولماذا .؟

لان البواب وزوجته اعتقلا . اعتقلا .؟! اذن فهما القاتلان . ؟

فقال مسيو فريديك لارسان فى لهجة تنم عن التهكم : عندما يعجز المرء عن الاهتداء الى القاتل يسلى نفسه باعتقال الشركاء .!

— وهل انت الذى أمرت باعتقالها يامسيو فريدريك .

— أنا . أوه كلا .. كلا .. أولا لأنى اعتقد أن لاشأن لهما بالجريمة . وثانيا لأن ..وسكت . فقال لوبين فى لهجة : — لأن

— لاشيء .. لاشيء .. فهمس لوبين يقول :

— لان الجانى لم يكن له شركاء .

فأجفل فريدريك وتفرس فى صديقى فى اهتمام وقال :

— آه . اذن فقد كونت لك رأيا فى الحادث . ومع ذلك فانك لم تر شيئا ايها الشاب ولم يؤذن لك بالدخول . سيؤذن لى بالدخول .

— انى ارتاب فى ذلك فان الاوامر صارمة .

— سيؤذن لى بالدخول اذا سمحت لى بان اقابل مسيو روبرت دارزاك طوقنى بهذا الفضل يامسيو فريدريك . اننا صديقان قديمان أنا وأنت أتذكر المقال الذى كتبته عن سرقة اسهم مناجم الذهب وأطريتك فيه .

وكان لوبين يتوسل الى الشرطى بطريقة تثير الضحك كانه طفل صغير .

ولم يقابل لارسان هذا التوسل الا بالجمود فوضع مفتاح البوابة فى جيبه دون ان ينطق بكلمة واحدة .

وكان لارسان قد تجاوز الخمسين من العمر ويمتاز بعينين حادتى النظر ينفذان إلى اعماق من يتحدث إليه . وقد فهمت من الحديث الذى دار بينه وبين لوبين انه شخص عركته التجارب واكسبته ثباتا ورزانة عجيبة .

وادار لارسان رأسه إذ سمع دوى مركبة جاءت من ناحية القصر ثم التفت إلينا قائلا :

— هاهو مسيو روبرت دارزاك داخل هذه المركبة .

وبلغت المركبة البوابة واطل منها دارزاك يرجو لارسان ان يفتح له البوابة إذ كان ينوى اللحاق بالقطار المسافر إلى باريس . ولاحت منه لفتة فرآنى . فاخذ يسألنى (ولارسان يعالج القفل) عما أتى بى إلى قصر جلانديه فى هذه الساعة المفجعة . وقد لاحظت امتقاع لونه وخطوط الاسى الظاهرة على وجهه فقلت :

— ارجو ان تكون الآنسة استجرسون الآن احسن حالا .

— نعم .. إنها احسن حالا . وهناك امل فى إنقاذها . ويجب ان تنقذ .

ثم اردف فى كلمات متهدجة مرتعدة :

— وإلا كان فى موتها موتى .

وهنا تدخل لوبين قائلا :

— هل انت مستعجل ياسيدى . ؟ ومع ذلك يجب ان اتحدث إليك فلدى شيء على جانب عظيم من الأهمية ينبغى ان اصارحك به .

وقال فريدريك لارسان مخاطبا دارزاك :

— اسمح لى بالانصراف . امعك مفتاح لاغلاق البوابة .

— نعم . ان مفتاحى معى . شكرا لك .

واسرع لارسان صوب القصر .

وقطب دارزاك جبينه حين عرف ان صديقى صحفى ونظر إلى ساعته وقال انه لم يبق على موعد قيام القطار إلا عشرون دقيقة . وهم بأن يلهب جواد المركبة بسوطه .

وهنا ادهشنى ان أرى لوبين يأخذ بعنان الجواد يمنعه عن السير وسمعته ينطق بهذه الجملة فى بطء وتؤدة :

— بيت الكاهن لم يفقد فتنته ولا الحديقة رواءها .!

ولم افهم أى معنى لهذه الكلمات ولم أر لها صلة بما كنا نتحدث فيه . ولكن ما كادت شفتا لوبين تنفرجان عنها حتى رأيت روبرت دارزاك وقد ترنح كالثمل وازداد وجهه امتقاعا وارسل إلى صديقى نظرة مليئة بالرعب والفزع . ثم نزل من المركبة والانفعال الشديد باد فى وجهه وحركاته وغمغم يقول فى صوت مضطرب : هيا بنا .! هيا بنا .!

ثم اردف فى غضب : هيا بنا ياسيدى .! هيا بنا .!

وارتد صوب القصر يتبعه ارسين لوبين الذى كان لا يزال ممسكا بزمام الجواد .

وجعلت انقل بصرى بين الرجلين وأنا اسائل نفسى عن سر هذه الكلمات السحرية العجيبة .

الفصل السادس

في قلب غابة السنديان

عندما دنونا من القصر رأينا نفرا من الشرطة يحفرون غرفة في الطابق الأرضي علمنا ان البواب برتيه وزوجته جلسا فيها رهن التحقيق . وقادنا مسيو دارزاك إلى إحدى قاعات القصر . ولاحظت ان لوبين يطيل النظر إلى يده التي يشتملها قفاز من الجلد .

وتحول استاذ السوربون إلى لوبين وقال في لهجة حادة: ماذا تريد ؟تكلم.!

فكان جواب لوبين ان ابتسم وقال في هدوء : اريد ان اصافحك .!

فقطب دارزاك جبينه وقال : ما معنى هذا .؟

وكانت لهجته تدل على انه فهم ما يرمي إليه صديقي . وقد فهمت انا ايضا غايته . كان لوبين يرتاب في ان دارزاك هو الجاني . وقد اطلقت الآنسة استنجرسون النار على المعتدي فأصابت يده وانطبع على جدار الغرفة اثرها الملوث بالدم . فهل هذه اليد المختفية داخل القفاز مصابة بجرح يا ترى ؟!

ونزع روبرت دارزاك قفازه وبسط يده اليمنى وهو يقول :

— انك صديق مسيو روبير الذي اسدانى فيما مضى خدمات جليلة ومن اجل هذا سأعفو عن جرأتك ياسيدى .! ولست ارى ما يمنعنى من مصافحتك .! وكانت يده سليمة ليس بها اى جرح .

وقال استاذ السوربون في هدوء : هل اكتفيت الآن .؟

فكان جواب لوبين : كلا .!

ثم تحول إلى وقال :

— ارجوك ياسيدى ان تدعنا وحدنا لحظة قصيرة .

واحنيت رأسى وانسحبت من القاعة وقد ادهشنى ما رأيت وسمعت لماذا لم يقذف دارزاك بصديق لوبين من النافذة وقد تجاسر إلى هذا الحد .؟ وما سر هذه الكلمات السحرية التي جعلته طيعا لينا . ؟ ايمكن حقا ان يكون

دارزاك هو القاتل وهو الرجل النبيل الوديع الخلق .؟! وكيف يمكن ان يتصور المرء ان يقدم دارزاك على الفتك بخطيبته وهو شديد الحب لها وقد اخلص في غرامها خمسة عشر عاما .؟ وما معنى قول لوبين : « بيت الكاهن لم يفقد فتنته ولا الحديقة رواءها . ! » ولماذا فزع دارزاك واستولى عليه الرعب حين سمع هذه الكلمات . ؟

كل هذه اسئلة جالت بخاطرى دون ان أجد لها جوابا او تعليلا .

وبعد ثلث ساعة رايت لوبين ودارزاك يغادران القاعة وامارات الانشراح ظاهرة عليهما كأنهما صديقان قديمان .

فقال لوبين يخاطبني .

— إننا ذاهبان الى الغرفة الصفراء فتعال معنا . وستبقى في رفقتى طيلة النهار ياصديقي وسنتناول غداءنا في احد المطاعم القريبة .

فقال دارزاك . بل انى ادعوكما لتناول الطعام معى .

— شكرا . سنتغدى في مطعم كاسيل .

— طعامه سيء لايؤكل .. ولن تجد هناك شيئا .

فقال لوبين في لهجة ذات مغزى :

— اتظن ذلك . ؟ انى ارجو ان اجد هناك « شيئا » .. وسأواصل عملى بعد الغداء . وسأكتب مقالى الأول عن الحادث . وستتولى انت الذهاب به الى مقر الصحيفة .

— اذن فأنت لاتنوى ان تصحبنى الى باريس .

— كلا . فانى سأبيت هنا الليلة .

وجعلت انقل بصرى بين لوبين ودارزاك .. عجبا . ! ماهذا التفاهم التام الذي قام فجأة بين الرجلين . !

ومررنا بالغرفة التي حبس فيها البواب وزوجته وسمعناهما يولولان ويبكيان فقال لوبين : لماذا قبض عليهما . ! فقال مسيو دارزاك مجيبا :

— انني ان اكون انا السبب فى اعتقالها . فقد ذكرت لقاضى التحقيق بالأمس انه يبدو مستحيلا ان يسمع البواب وزوجته الطلقات النارية فيرتديا ثيابهما ويقطعا المسافة من غرفتهما إلى السلاملك فى خلال دقيقتين اثنتين . ! لأن هذا هو الوقت الذى انقضى مابين اطلاق الرصاص ومقابلة جاك العجوز لهما فى الحديقة.

فقال ارسين لوبين : هذا حقاً شىء مريب ! وهل كانا مرتديين ثيابهما .

— نعم . كانا مرتديين ثيابهما كاملة . بل ان حذاء البواب كان رباطه معقودة . وقد ذكرا فى التحقيق انهما ناما فى الساعة التاسعة والنصف كالمعتاد . وقد اتى قاضى التحقيق معه بمسدس من نوع المسدس الذى وجد فى الغرفة الصفراء ، وجعل سكرتيره يطلق رصاصتين داخل الغرفة ونافذتها وبابها مغلقان وكنا معه فى غرفة البواب فى خلال ذلك فلم نسمع دوى الطلقين . فاستنتجنا من هذه التجربة ان البواب وزوجته كذبا فيما ذكراه من انهما سمعا الطلق النارى فارتديا ثيابهما . فلاشك اذن فى انهما كانا يرتديانها من قبل ، وكانا فى الحديقة على مقربة من السلاملك ينتظران . اننا طبعا لانتهمهما بالاعتداء ، ولكنه لا يبعد ان يكونا شريكين للجانى .. وانهما انما كانا فى انتظاره . . ولهذا امر مسيو ماركيه بالقاء القبض عليهما .

فقال لوبين معترضاً :

— لو انهما كانا شريكين للجانى لجاءا ناقصى ثياب على هيئة من انتبه من النوم او لما اتيا على الاطلاق حتى يدرآ الشبهات عن نفسيهما فمجرد قدومهما وقدومهما فى ثيابهما كاملة فهو فى ذاته دليل على أنهما ليسا شريكين للجانى . إنى أعتقد انهما بريئان .

— إذن فماذا كانا فى الحديقة . فى تلك الليلة .

— لاريب ان لديهما سببا معينا يحملهما على الكتمان . فعلينا أن نجد هذا السبب حتى ولو كانا بريئين . فكل ماحدث فى تلك الليلة له خطورته واهميته بطبيعة الحال .

ويقفنا فى تلك اللحظة قريبا من الحديقة يطلق عليه اهل القصر إسم «الحرش

السندیان» وقد نمت به الأشجار باسقة وظلالها السوداء تكاد تحجب ضوء الشمس . وخلف هذه الأشجار يقوم السلاملك الذى كان مسرحا لهذه الفاجعة الأليمة .

والسلاملك عبارة عن طابق تفضى إليه درجات قليلة ، وفوقه «كرار» اتخذ منه جاك العجوز مخدعا له . وفيما يلى بيان بين غرف السلاملك وبداخله ومخارجه :

١ — الغرفة الصفراء وهى ذات نافذة واحدة مسورة بقضبان من الحديد وباب واحد يفضى إلى المعمل .

٢ — المعمل : وبه نافذتان مسورتان وبابان يصل احدهما بالغرفة الصفراء والثانى بالردهة .

٣ — الردهة : وفيها نافذة مجردة من القضبان وباب يؤدى إلى الحديقة هو عبارة عن الباب الخارجى للسلاملك .

٤ — المعمل .

٥ — السلالم المؤدية إلى الكرار حيث ينام جاك العجوز .

٦ — المدفأة الوحيدة الموجودة فى السلاملك . وهى تستعمل بمثابة مدفأة وفرن لإجراء التجارب الكيميائية .

« ٥ »

وهذا البيان (الذى وضعه لوبين) يعطى القارىء فكرة صحيحة عن منافذ السلاملك ويجعله يتساءل مثلنا عن الطريقة التى استطاع بها القاتل الخروج من الغرفة الصفراء أولا ثم الفرار ثانيا ..!

ووقف لوبين على الدرج قبل ان يتخطى عتبة السلاملك وقال :

— وما هو الدافع إلى الجريمة ..؟

فأجاب مسيو داوزاك :

— ان الأمر فى رأيى واضح ياسيدى ، لقد حاول المعتدى ان يخنقها ، وقد دل الفحص الطبى على ان الآثار الظاهرة بعنق الآنسة استنجرسون احدثتها نفس اليد التى انطبع اثرها الملوث بالدم على الجدار . وهو ياسيدى اثر يد كبيرة جدا لا يمكن ان يشتملها قفازى ..!

فقلت معترضا :

— لا يجوز ان يكون هذا الأثر اثر يد الآنسة استنجرسون ، إذ استندت إلى الجدار قبل ان تقع على الأرض ، وانزلقت يدها فتضخم الأثر مما جعل الأطباء يظنون انه أثر يد كبيرة . !

فقال دارزاك مجيبا :

— لم يكن بيدى الآنسة استنجرسون أى أثر من الدم . فقلت :

— إذا كانت الآنسة استنجرسون هى التى أطلقت النار على القاتل فجرحت يده .. فماذا اخذت مسدس جاك العجوز وتسلحت به ؟ اكانت تخاف احدا او شيئا . ؟ — يجوز .

— الا ترتاب فى شخص معين ؟ — كلا .

وهنا تكلم ارسين لوبين موجها حديثه إلى فقال :

— يجب ان انبئك ياصديق ان مسيو ماركيه حين تحدث إلينا عن القضية ونحن فى القطار أخفى عنا بعض المعلومات ، فقد عرفوا ان الآنسة استنجرسون هى التى استعملت المسدس ، وكذلك عثروا على السلاح الذى استعمله القاتل فى الاعتداء على الآنسة .

— وهذا السلاح كما اخبرنى مسيو ماركيه قد كتم عنا هذه الحقيقة حتى لا يفسد عمل البوليس السرى إذا ذاع الأمر ، ففى باريس مجرمون يعرفهم البوليس لا يتخذون سلاحا إلا قطعة من عظام الشاة يضربون بها ضحاياهم ضربة محكمة تفضى إلى الموت المحتوم . — وهل وجدوا هذه العظمة فى الغرفة الصفراء .؟

فقال مسيو دارزاك مجيبا :

— نعم .. عند قائمة السرير .. وكان رأس العظمة ملوثا بالدم . ويدل شكلها على انها استعملت من قبل فى ارتكاب جرائم اخرى إذ كانت بها بقع دموية باهتة ، وقد ارسلها مسيو ماركيه إلى المعمل الكيميائى للتحقق من امر هذه البقع الحائلة اللون . ! وقال ارسين لوبين :

— إن قطعة من العظام فى يد مجرم خبير حاذق لهى افتك اثرا من هراوة من الخشب .

فقال دارزاك : ورأس العظمة يطابق تماماً شكل الجرح ، ولولا ان عالجت الآنسة استنجرسون القاتل بالطلق النارى لكانت اصابتها قاتلة ، وقد اصابت الرصاصة يده فأفلتت اصابعه العظمة وفر هاربا . ومما يؤسف له ان الرصاصة الأولى طاشت واستقرت فى السقف ولم تصب الجانى إذا كانت الآنسة استنجرسون تكاد تفقد رشدها بسبب محاولة القاتل خنقها فأخطأت الهدف ، ولو ان الرصاصة الأولى اصابته لما سدد إليها ضربته القاتلة .

ونقر (دارزاك) على باب السلاملك ، ففتح بعد لحظات ، ورأيت امامنا رجلا متحنياً فى الستين من العمر عرفت فيه جاك العجوز فقال له مرشدنا :

— إنهما صديقاى ياجاك . .

فقال الخادم : لقد صدرت إلى الأوامر مشددة بأن أحول دون دخول الغرباء ولكننى حيالك لا املك شيئا ياسيدى ، ومع ذلك فما الذى يرجون من وراء هذا التكتم وقد درس الشرطة كل شىء ، وفحصوا كل شىء .

وانبرى ارسين لوبين يقول : اسمح لى يامسيو جاك بأن اطرح عليك سؤالا .

— سل مابدا لك ياسيدى .

— اكانت الآنسة استنجرسون تصفف شعرها فى تلك الليلة مفروقا من الوسط .؟ وبعض خصلاته مرسلة على الجبين .؟ اعنى على طريقة العذراء .؟

— كلا ايها الشاب .. ان سيدتى لا تتبع هذه الطريقة مطلقا فى تصفيف شعرها .. كانت تجمعه فى تلك الليلة إلى الأعلى كالمعتاد فيبدو جبينها الوضاء الجميل .

فبانت خيبة الرجاء على وجه لوبين وشرع يفحص باب السلاملك وقفله الآلى حتى أيقن من ان الباب لا يمكن ان يفتح من الداخل او الخارج إلا باستعمال المفتاح . وحين دخلنا إلى الردهة هتف لوبين مشيراً إلى النافذة :

— آه . تلك هى النافذة التى هرب منها القاتل . !

— هذا ما يزعمون ياسيدى .! ولكن كيف تسنى له بلوغها ونحن الأربعة واقفون بعيون مفتوحة .! أكنا عميا لا نبصر .؟ انا ومسيو استنجرسون وبرنييه البواب وزوجته . ؟

وفتح لوبين النافذة وفحص مصاريعها ثم قال :

— أكانت المصاريع مغلقة ساعة الحادث . ؟
— نعم ياسيدى . وكان رتاجها الحديدى محكم التثبيت .
— أوجدتم بهذه النافذة بقعا من الدماء ؟
فقال أرسين لوبين وهو يطل من النافذة .
— آه . هذى هى آثار الأقدام مطبوعة على الأرض فى جلاء . لاشك ان الأرض كانت منداة مبلولة . سأفحصها فيما بعد .
— نعم . على الحجارة من الخارج.فقال جاك العجوز مقاطعا :
— كلام فارغ .! يستحيل ان يكون القاتل قد فر من هذا الطريق .
— حقا . ! إذن فمن أى طريق فر . ؟ — هذا مالا علم لى به .
وكان لوبين فى خلال ذلك يفحص كل شىء يستقر عليه بصره . وقد جثا على ركبتيه ومضى يفحص أرضية الردهة : واستطرد جاك :
— انك لن تجد شيئا ياسيدى .! كما انهم لم يجدوا شيئا . وفضلا عن هذا فإن الأرضية قذرة الآن لفرط ما وطئتها الأقدام . وقد أبوا على ان اغسلها ولكنها كانت نظيفة يوم الحادث فقد غسلتها بنفسى فى ذلك اليوم غسلا جيداً . فلو ان القاتل سار فوقها بحذائه القذر الملوث بالسواد لانطبع أثره عليها فى وضوح كما انطبع على ارضية الغرفة الصفراء .
ونهض لوبين واقفا وقال : متى غسلت بلاط الردهة لآخر مرة .؟
— يوم الحادث كما قلت لك . فى نحو الساعة الخامسة والنصف بينما كانت الآنسة وأبوها يتريضان فى الحديقة قبل تناول العشاء. هنا فى المعمل وفى اليوم التالى فحص القاضى آثار الأقدام الظاهرة على البلاط ولم تكن من بينها آثار أقدام القاتل التى شهدنا منها مثالا فى الغرفة الصفراء . وكذلك كان المعمل خاليا من هذه الآثار . فكيف يمكن ان يقال بعد هذا انه فر من هذه النافذة .! ولكن ما دامت آثاره ظاهرة تحت النافذة من الخارج فهذا معناه أنه شق لنفسه طريقا من سقف الغرفة الصفراء إلى غرفتى . ثم أحدث فجوة فى الجدار وهبط عليه ثم وثب إلى الأرض تحت النافذة فانطبعت عليها آثار قدميه . ولكننا لم نجد هذه الثغرات والفجوات . فلا ريب إذن

فى ان الشيطان نفسه هو الذى اقترف هذه الجريمة .
وجثا لوبين على الأرض امام المغسل وجعل يفحص البلاط نحو دقيقة فلما نهض واقفا قلت أسأله : هل اهتديت إلى شىء . !
— شىء لا اهمية له . نقطة من الدم . ! ثم تحول إلى جاك العجوز قائلا:
— عندما شرعت فى غسل المعمل والردهة أكانت نافذة الردهة مفتوحة .
— كلا ياسيدى . كانت مغلقة . ولكننى حين فرغت من عملى اشعلت نارا فى المدفأة ولما كنت استعمل الصحف القديمة فى إشعال الخشب فقد انبعث منها دخان حملنى على ان افتح النافذة حتى يتسرب منها . كما فتحت نافذتى المعمل ، غير انى ما لبثت ان أغلقتهما ولكنى تركت نافذة الردهة مفتوحة وخرجت . وعندما رجعت وجدتها مغلقة كما وجدت مسيو استنجرسون وابنته فى المعمل .
— لا شك اذن انه هو الذى اغلقها . ؟ او طبعا . ؟
— هذا لاشك فيه . الم تسألها . ؟ — كلا
ثم انتقلنا إلى المعمل فدار فيه صديقى بنظرة عاجلة شملت كل مايحتوى عليه من اوان وانابيب وزجاجات ومقاييس . إلى غير ذلك من مختلف الأدوات التى تستعمل فى التجارب الكيميائية . واقترب لوبين من المدفأة وجعل يفحص البقايا المتراكمة فى فوهة المدخنة ثم انتصب فجأة وفى يده قصاصة من الورق عدت عليها النيران وقدمها إلى دارزاك وهو يقول :
— ارجوك ان تحتفظ بهذه القصاصة يامسيو دارزاك .
واقتربت من دارزاك وارسلت بصرى إلى الورقة فإذا فيها هذه الكلمات التى لم تمسها النار :
« بيت الكاهن لم يفقد . . الحد . . رواء . . »
وتحت هذا السطر تاريخ : « ٢٣ اكتوبر »
عجبا . ! يالهذه الكلمات السرية . ! بيت الكاهن لم يفقد فتنته ولا الحديقة رواءها .! ما سمعها دارزاك منذ ساعة من فم لوبين حتى امتقع لونه وكاد يسقط مغشيا عليه .! والآن ماراها مسطورة على القصاصة حتى غشيه منها

ماغشية من قبل . شحب لونه وجحظت عيناه من الرعب .! وبلغ من فزعه ان يده كانت ترتعش ارتعاشا شديدا وهو يفتح محفظته ليودعها القصاصة .! وسمعته يهتف في صوت خافت : «ياالهي .!» فليت شعري اى سر ينطوى تحت هذه الكلمات

واقترب لوبين ثانية من المدفأة وادخل رأسه في الفوهة فالفاها مزودة من الداخل بقضبان من الحديد لا تسمح لانسان بالمرور بين فجواتها فقال :

— من المستحيل الدخول او الخروج من هذه الفوهة .

ثم فحص الدواليب والمقاعد والمناضد . ولاحظ ان جاك العجوز واقف الى جوار النافذة مرسلا بصره إلى الخارج في اهتمام فأقبل عليه يسأله :

— ما الذي يلهيك عنا .؟ — انى اراقب هذا الشرطي العجوز . إنه لا يفتأ يدور حول الحديقة مرة بعد مرة ، ولكنى موقن من انه سيكون ثانى باحث لا يهتدى إلى شيء .!

فابتسم لوبين وقال :

— انك إذن اجهل الناس بقر بديك لارسان يا عزيزى جاك .! إذا كان هناك من سيهتدى إلى القاتل فهو لارسان .

فقال جاك العجوز : — عليهم قبل ان يهتدوا إلى القاتل ان يهتدوا إلى الطريقة التى افلت بها .؟

الفصل السابع
تحت الفراش

دفع لوبين باب الغرفة الصفراء ودخل .

ثم وقف على العتبة وسمعته يغمغم قائلا :

— آه . اعطر السيدة ذات الثوب الأسود .!

وكانت الغرفة شبه مظلمة فأراد جاك العجوز ان يفتح المصاريع لولا ان استوقفه لوبين بقوله : — ام تقع المأساة والغرفة مظلمة .؟

— لا اظن ذلك ياسيدى . فقد امرتنى الآنسة استنجرسون ان اضىء فى مخدعها ضوءا ليليا . وأنا الذى اشعله فى كل ليلة .

— واين كانت المنضدة الموضوع فوقها القنديل ؟! كانت بعيدة عن السرير .

— على مسافة منه . فى هذا المكان : — أرجوك أن تشعل القنديل .

— لقد انكسر وسال منه الزيت عندا نقلاب المنضدة . أتحب أن افتح النافذة ؟

— كلا . ومضى لوبين إلى المصاريع فاغلق مصاريع النافذتين ثم اغلق باب الردهة وحين رجع الينا كان الظلام يسود الغرفة الصفراء . فأشعل عوداً من الكبريت من الصنف المدهون بالشمع والذى يطول احتراقه ، وناوله إلى جاك وطلب اليه أن يقف به حيث كان القنديل مضاءاً فى الليلة المهودة .

وبعد برهة قال لوبين : حسناً .. الآن يمكنك أن تفتح النافذة .

وكان جاك عند دخوله قد خلع حذاءه وقال مخاطباً لوبين :

— أرجوك أن لاتتوغل فى الغرفة فان القاضى يريد أن يبقى كل شىء على حاله .

وكان الأثاث مقلوبا أو مهشما مما يدل على وقوع عراك عنيف ورأينا على الأرض الدم الذى سال من جرح المجرم عليه متجمدا . كما رأينا آثار اليد الملوثة بالدماء ظاهرة على الجدار حين أخذ القاتل يتلمس طريقه فى الظلام وهتفت اقول :

— انظر . لاشك ان الرجل حين وضع يده على الجدار ظن انه الباب فضغطه بشدة ليفتحه ، وإن له ليداً غريبة عجيبة الشكل .. إنها كبيرة الحجم جداً .. ولا اظن ان فى العالم ايادى كبيرة بهذا الحجم . والأصابع كلها ذات طول واحد تقريباً . اما أثر الابهام فغير ظاهر . لدينا اثر الكف فقط . واذا تتبعنا اثر اليد وجدناها قد انزلقت على الجدار فى اتجاه الباب حتى إذا وجدته استقرت على القفل واخذت تعالجه . فضحك لوبين وقال :

— هذا جلى .. غير انك نسيت شيئاً هاما .. وهو انه لا أثر للدم على القفل او المزلاج ! — واية اهمية لهذا .! لقد فتح الباب ورفع المزلاج بيده اليسرى السليمة . فقال جاك العجوز معترضاً :

— إنه لم يفتح الباب .. لقد كنا وقوفا نحن الأربعة خارج الباب اتعتقد اننا عمى لا نبصر ؟ واسترسلت اقول :

— يالها من يد عجيبة الشكل ! انظر . ما اغرب شكلها ! فقال لوبين فى هدوء :

— إنها يد عادية . وكل ماهنالك ان طابعها تضخم لانزلاقها على الجدار .

ولاشك ان قامة الجانى تبلغ خمس اقدام وثمانى بوصات ؟ — وكيف عرفت هذا ؟
— من ارتفاع أثر اليد عن الأرض . هذا الأثر يجب فى الحالة الطبيعية ان يكون محاذيا للكتف . ولك ان تجرب ذلك إذا شئت .
وبعد هذا اخذ لوبين يفحص الثقب الذى احدثته الرصاصة فى الجدار وكان مشدوها ثم قال :
— هذه الرصاصة اطلقت فى خط رأسى . . اعنى انها لم تطلق لا من الأعلى ولا من الأسفل . ولاحظ ان الثقب ينخفض ببضع بوصات عن اثر اليد على الجدار
وفحص لوبين قفل الباب ومزلاجه . وتأكد من ان الباب اغتصب من الخارج اغتصابا . إذا كانت « عيون » المزلاج تكاد تتحطم لولا ان امسكها مسمار او مسماران . وكان جليا انه لايمكن تحريك المزلاج من الخارج بأية طريقة . . وكان المفتاح فى ثقب القفل من الداخل مما يستحيل معه فتحه من الخارج باستعمال مفتاح آخر .
ونزع لوبين حذاءه وتقدم داخل الغرفة ومضى يفحص الاثاث . ثم قال فجأة :
— صدقت ياجاك ! ان شعر سيدتك لم يكن مفروقا من الوسط . ! ما اشد غباوتى . ! ثم انطرح على الارض وراح يزحف تحت السرير كالثعبان . وهنا قال جاك العجوز : لاشك ان القاتل كان مختبئا تحت السرير . ولا شك انه أوى الى مخبأه فى الساعة العاشرة حين جئت لأغلق المصاريع واشعل المصباح . مادمنا (أنا وسيدى وسيدتى) لم نزايل المعمل منذ هذه اللحظة .
وقال لوبين وهو لايزال فى مكانه تحت الفراش :
— فى ايه ساعة دخل الاستاذ وابنته المعمل ؟ — فى الساعة السادسة مساء .
— نعم لاشك انه كان مختبئا تحت السرير . هذا لاريب فيه وهذه . آثار حذاءه . ! أبحثتم تحت السرير حين دخلتم .؟
— طبعا .. بل لقد نقلنا السرير من مكانه . — وبين المراتب ؟ .
— لم يكن على السرير إلا مرتبة واحدة . أرقدنا الآنسة استنجرسون عليها ونقلناها الى المعمل . وقد تولى نقلها الاستاذ استنجرسون والبواب . ولم يكن تحت المرتبة إلا « الملة » وهى من السلك فلا تصلح مخبأ .

فقلت : الا يجوز أن يكون القاتل قد خرج مع المرتبة . وربما ادخل نفسه فى طياتها .! كل شىء جائز فى هذه القضية العجيبة .. ولشدة اضطراب مسيو استنجرسون والبواب لم يفطنا الى وجوده .. ولا الى ثقل المرتبة . وليس الامر مستحيلا لاسيما اذا كان البواب شريكا للجانى ومما يقوى فى نظرى هذا الفرض اننا لم نجد لحذاء الجانى أثر فى المعمل أو الردهه . فعند نقل الآنسة الى القصر ربما وقفوا برهة عند نافذة الردهة ، فتمكن الجانى فى خلال من ذلك . الهرب من داخل المرتبة . وكنت مسترسلا فى حديثى بالفروض التى أبديها الى ان قطع على لوبين الكلام بقوله وهو يضحك :
— وماذا ايضا ؟ أثر أذهاننا المظلمة بهذه الاستنتاجات الرائعة . ! فغاظنى تهكمه وقلت : وما يدريك انى غير مصيب فى قولى .؟
— يجوز .. يجوز .. وقال جاك العجوز :
— لقد أبدى قاضى التحقيق مثل هذا الرأى ياسيدى . وقد فحص المرتبة فلا لم يجدها مشقوقة . فنبذ الفكرة وهو يضحك من نفسه ساخرا كما يضحك صديقك الآن . وصاح لوبين من تحت الفراش :
— لقد أزيحت هذه السجادة من موضعها فمن الذى أزاحها .؟
— نحن الذين ازحناها ياسيدى . فقد خطر لنا حين لم نجد القاتل ان من المحتمل ان يكون فى الارض منفذ سرى .!
فقال لوبين : وطبعا لم تجدوا شيئا . ألا السلامك بدروم .
— كلا . ولكننا مع ذلك لم نملك الا ان نبحث لنجد تفسيرا لهذا اللغز العجيب . وقد قام القاضى بهذا الفحص ايضا كأن يكون تحت السلامك بدروم يمكن ان يتسلل اليه الجانى .
وخرج لوبين زاحفا من تحت الفراش ومضى يفحص الجدران ويشمها . . ثم وضع مقعدا فوق المنضدة ووقف فوقه وجعل يفحص الثقب الذى احدثته الرصاصة التى استقرت فى السقف . ثم انتقل الى فحص النافذة ، واخيرا قال :
— ان الغرفة الصفراء اشبه بخزانة لا منفذ فيها للدخول او الخروج غير الباب الذى كان موصدأ من الداخل بالمزلاج والمفتاح .

فقلت : وهذا مايزيد اللغز تعقيدا .!

— إنه حقا لغز بديع .! مثل اعلى فى الألغاز .! فقال العجوز :

— لو ان قطة الشيطان هى التى اقترفت هذه الجريمة لما استطاعت الخروج من الغرفة .! صه .! اسمعها .! انصتا .! وارهف اذنيه للسمع ثم تمتم يقول :

— لقد ذهبت . لا بد لى ان اقتل هذه القطة . ان لها صرخة مزعجة حواء . تقشعر له الأبدان ..! والناس يكرهونها ولا يجرؤون ان يمدوا لها يدا بالأذى خشية ان تحل بهم لعنة الأم اجيتو .؟

— اهى كبيرة الحجم قطة الشيطان هذه .؟

— انها فى حجم كلاب الصيد الصغيرة ، إنها شيطان على صورة قطة .! او لطالما ساءلت نفسى إذا لم تكن هى التى حاولت ان تخنق الآنسة استنجرسون ..! ولكن القطط لا تحتذى نعالا ! وليست لها ايد كهذه اليد المطبوع أثرها على الجدار . فقلت :

وهذا ما خطر لى قبل ان ادخل إلى الغرفة الصفراء وأرى مابها من آثار.

فصاح لوبين : انت ايضا !.

— وانت .؟ ألم يخطر هذا الخاطر .؟

— محال ..! لقد ايقنت منذ اللحظة التى قرأت فيها مقال الماتان ان الجانى لايمكن ان يكون حيوانا من اى نوع .. لاقطة ولاقردا .! ولكن اين القبعة والمنديل اللذان وجدا فى الغرفة ياجاك .؟

— اخذهما القاضى طبعا .

فقال لوبين فى هدوء : انى لم ار لاالقبعة ولاالمنديل . ومع ذلك فى وسعى ان اصفهما لك . — حقا ..

— نعم .. المنديل كبير الحجم ازرق اللون فيه خطوط حمراء . اما القبعة فعتيقة من طراز باسك وهى شبيهة بالقبعة التى تعلو رأسك الآن . !

فقال جاك العجوز فى استغراب ودهشة :

— هذا صحيح ياسيدى .. هذا صحيح.. هل انت ساحر ؟ ولكن كيف عرفت ان المنديل ازرق ذو خطوط حمراء .

فلم يزد لوبين على ان قال :

— لأنه لو لم يكن كذلك لما وجد على الاطلاق ..!

واخرج لوبين من جيبه مقصا وقطعة من الورق وصنع قالبا دقيقا لأثر الحذاء المطبوع على ارضية الغرفة . وطلب إلى ان احتفظ به .

ثم تحول إلى النافذة حيث كان فريدريك لارسان لا يزال يحوم حول البحيرة وسأل عما اذا كان الشرطى الشهير قد قام بفحص الغرفة الصفراء فأجابه دارزاك:

— كلا ياسيدى .. انه يؤكد ان الغرفة الصفراء لاتعنيه فى شىء . ويقول ان القاتل هرب منها بطريقة طبيعية معقولة . وانه سيجلو هذه النقطة فى هذا المساء.

فهتف لوبين وقد امتقع لونه : اقال لارسان انه اهتدى الى الحقيقة بينما لاازال انا فى بداية الطريق ..! ان لارسان رجل عظيم .. نعم .. انه رجل عظيم ..! وانى لشديد الاعجاب به ..! ولكن احاطة التام عن هذا اللغز لاتحتاج الى بوليس سرى حنكته التجارب وانما تحتاج الى رجل منطق يعرف كيف يفكر على الوجه الصحيح تفكيرا صحيحا متسلسلا ..

وفجأة اندفع لوبين الى الخارج فلحقت به عند باب السلاملك وقد ادركت ان اكتشاف لارسان لحقيقة اللغز قبله ساءه كثيرا . وقلت له :

— هدىء من روعك ياصديق .. الم تسفر ابحاثك عن نتيجة مرضية .؟

فقال فى لهجة تدل على الارتياح :

— بل أسفرت .. أسفرت عن نتائج مرضية .. مرضية جداً .

— مادية أم أدبية .؟

— نتيجة واحدة مادية ونتائج كثيرة أدبية . واليك هذا على سبيل المثال.

وأخرج من جيبه ورقة مطوية لاشك أنه أودعها جيبه حين كان تحت الفراش ثم نشر الورقة فاذا فيها شعرة شقراء من رأس امرأة .

الفصل الثامن

شهادة الآنسة استنجرسون

بعد خمس دقائق كان أرسين لوبين منكبا على آثار الاقدام الظاهرة فى ارض

الحديقة تحت نافذة الردهة وهو يفحصها . وأقبل احد الخدم من القصر وهو يجرى وأنبأ مسيو دارزاك أن قاضى التحقيق شرع فى استجواب الآنسة استنجرسون فاستأذن منا استاذ السوربون ومضى إلى القصر ركضا فقال لوبين :

— هيا بنا إلى القصر ياصديقى فان شهادتها قد تجلو الأمور .

ورأينا فى مدخل البهو شرطيا ابى علينا الصعود إلى الطابق الأول فلم تكن لنا مندوحة من الانتظار .

وقد علمنا فيما بعد ان الطبيب الذى يتولى علاج الفتاة رأى ان صحتها تسمح باستجوابها فاخطر قاضى التحقيق بالأمر ولم يكتم عنه انها قد تصاب بنوبة تحول دون اخذ اقوالها زمنا طويلا فرأى مسيو ماركيه ان يعجل بسؤالها . وحضر هذا التحقيق الطبيب والقاضى وكاتبه ومسيو استنجرسون .

وهذا نص ماجاء فى محضر التحقيق حرفا بحرف :

سؤال — استطيعين يا آنسة دون ان ترهقى نفسك ان تفضى الينا بتفاصيل هذا الاعتداء الاثيم الذى كنت ضحية له .؟

جواب — انى اشعر انى الآن احسن حالا ولامانع لدى من الاجابة . عندما دخلت غرفتى لم افطن الى وجود شىء غير عادى .

س — اسمحى لى يا آنسة بان اطرح عليك اسئلتى بدلا من ان تسردى حكاية طويلة . فهذا ازعاجا لك .

ج — كما تشاء ياسيدى .

س — كيف امضيت ذلك اليوم المشؤوم . ارجوك ان تذكرى لى جميع التفاصيل ان لم يكن فى ذلك مايتعبك .

ج — استيقظت فى الساعة العاشرة صباحا متأخرة عن موعدى المألوف إذ كنت وابى فى الحفلة الساهرة التى اقامها رئيس الجمهورية تكريما لأعضاء المجمع العلمى بفيلادلفيا . ثم زايلت مخدعى فى منتصف الحادية عشرة وذهبت الى المعمل حيث كان ابى منهمكا فى العمل فظللنا نشتغل معا حتى انتصف النهار . ثم تمشينا فى الحديقة نحو نصف ساعة كما جرت عادتنا بذلك قبل تناول الغداء فى القصر . وبعد الغداء تمشينا نصف ساعة اخرى قبل رجوعنا إلى المعمل فوجدت وصيفتى

فى الغرفة الصفراء وقد انتهت من تنسيقها فالقيت اليها بعض التعليمات . وعلى اثر ذلك غادرت الوصيفة السلاملك على حين واصلت عملى مع ابى . وفى الساعة الخامسة تمشينا فى الحديقة مرة اخرى وتناولنا الشاى .

س — ادخلت غرفتك قبل مغادرتك السلاملك فى الساعة الخامسة ؟

ج — كلا .. ولكن ابى هو الذى دخلها لبأتينى بقبعتى .

س — الم يلاحظ ابوك شيئا مريبا فى الغرفة الصفراء ؟

وهنا قال مسيو استنجرسون : كلا .. لم ألاحظ شيئاً .

س — إننا نكاد أن نكون متأكدين من أن القاتل لم يكن مختبئا تحت الفراش فى ذلك الوقت . فهل أغلقتم باب الغرفة عند خروجكم . ؟

ج — كلا . . لم يكن هناك داع إلى إيصادها .

س — أتغيبتم عن السلاملك كثيراً ؟ ج — نحو ساعة .

س — إذن فى خلال هذه الساعة دخل القاتل إلى السلاملك بلا نزاع . ولكن كيف دخل .؟ لقد وجدنا آثار أقدام فى الحديقة تحت نافذة الردهة . ولكنها كانت أقداما تبتعد عن السلاملك . وليست متجهة اليه . ألم تلاحظى إذا كانت نافذة الردهة مغلقة أو مفتوحة عند خروجكم . ج — لاأذكر .

وهنا قال مسيو استنجرسون . بل كانت موصدة

س — وعندما رجعتم .؟ الآنسة استنجرسون : لم ألاحظ ذلك .

مسيو استنجرسون : كانت لاتزال مغلقة . ومما لفت نظرى إلى ذلك انى قلت عند دخولى فى صوت مرتفع : «كان ينبغى أن يفتح جاك هذه النافذة أثناء غيبتنا حتى يتجدد الهواء .»

س — غريب . . ! غريب جدا . . ! تذكر يامسيو استنجرسون إن جاك العجوز فتح هذه النافذة أثناء غيبتكم وقبل مغادرته السلاملك وهل رجعتم إلى عملكم عند عودتكم فى الساعة السادسة . ج — نعم ياسيدى .

س — ألم تغادرى المعمل من الساعة السادسة إلى حين أويت إلى مخدعك

مسيو استنجرسون — لاأنا ولاإبنتى غادرنا المعمل منذ عودتنا إلى حين دخولها الصفراء . إذ كان لدينا عمل هام نريد أن نفرغ منه .

س — هل تمشيت فى المعمل .   ج — نعم .. أنا وأبى

س — أمن عادتكما أن تتمشيا فى المعمل .؟   ج — نادرا .

س — أيمكن ان يكون القاتل قد عرف أنك ستمشين فى المعمل فى ذلك المساء ..

مسيو استنجرسون — لااظن ذلك ياسيدى .. لأنى لم أصدر امرى باعداد العشاء فى المعمل حين عودتى إلى السلاميك فى الساعة السادسة مساء . فقد جاءنى حارس الصيد وطلب إلى ان اصحبه إلى الغابة إذ كنت قد نبهت عليه باجراء شىء من التعديل ولكننى اعتذرت اليه بانهماكى فى المعمل ورجوته ان ينبىء رئيس الخدم فى القصر بانى سأتعشى مع ابنتى فى المعمل .

س — فى اية ساعة تركت إياك يا آنسة وآويت إلى مخدعك .؟

ج — عند منتصف الليل .

س — الم يدخل جاك العجوز الغرفة الصفراء فى خلال المساء .؟

ج — دخلها ليغلق مصراع النافذة وليضىء المصباح .

س — الم يلاحظ مايريب .؟

ج — لو رابه شىء لأنبأنا فانه يحبنى حبا عظيما .

س — لقد اكدت لنا يامسيو استنجرسون ان جاك العجوز لزمك بعد انصراف ابنتك ولم يدعك مطلقا .

ج — انى موقن من هذا كل اليقين ولاتخالجنى ريبة من هذه الناحية .

س — عند ما آويت إلى مخدعك يا آنسة . هل اغلقت الباب واحكمت رتاجه فى الحال .؟ ولقد كنت تعلمين ان اباك وخادمك فى المعمل الملاصق لغرفتك فلم إذن اقدمت على اتخاذ هذه الحيطة ..؟ اكنت تخافين شيئا .

ج — اتخذت هذه الحيطة لأن ابى لايلبث ان يمضى إلى القصر وجاك إلى غرفته . وفضلا عن ذلك فقد كنت اخاف شيئا .!

س — وبلغ من شدة خوفك انك استعرت مسدس جاك دون ان تنبئيه .؟

ج — هذا صحيح . إذ لم اشأ ان أزعج أبى او جاك . وقد تكون مخاوف وهمية لا أثر لها من الحقيقة .

س — وما الذى كنت تخافينه ؟

ج — الحقيقة انى لا أستطيع ان اجيب على وجه التحديد . فقد خيل إلى منذ بضع ليال انى سمعت أصواتا غريبة فى الحديقة وخارج الحديقة وحول السلاميك . فى بعض الأحيان سمعت وقع أقدام . وفى احيان اخرى تكسر الأغصان . وفى الليلة السابقة لوقوع الحادث — وكنت قد آويت إلى مخدعى فى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل على أثر عودتنا من الحفلة الساهرة — وقفت برهة فى النافذة فخيل إلى انى أرى فى الحديقة اشباحا .

س — كم عددها .؟

ج — اثنان . وكانا يتحركان حول البحيرة ثم اختفيا عن ناظرى ولقد كان من عادتى ان ارجع إلى الإقامة فى القصر فى مثل هذا الفصل من كل عام . ولكنى رأيت فى هذا العام ان اطيل مقامى فى السلاميك قليلا حتى يفرغ ابى من رسالته الأخيرة التى يلخص فيها نظرياته وتجاربه عن انعدام المادة . ولقد كان منظورا ان ينجز ابى هذا الكتاب فى خلال ايام قليلة . ومن اجل هذا لم اشأ ان ازعجه بمسألة الأشباح . فكتمت عنه الأمر . وآثرت ان استعير مسدس جاك العجوز سرآ .

س — ألك اعداء .؟

ج — كلا .

س — ارجو ان تفهمى يا آنسة ان الاحتياطات الشاذة التى اتخذتها تثير دهشتنا ولازالت فى حاجة إلى تعليل معقول .؟

مسيو استنجرسون — هذا صحيح يا ابنتى . فإن اتخاذك هذه الاحتياطات امر يثير الدهشة .

ج — لا داعى لذلك . الم انبئكم انه كان هناك ما يزعجنى فى خلال الليلتين السابقتين .؟

مسيو استنجرسون — لو انك انبأتنى لما وقعت هذه المأساة

س — عندما اغلقت باب الغرفة الصفراء هل أويت إلى فراشك مباشرة يا آنسة .؟

ج — نعم . وقد استولى على النوم فوراً إذ كنت متعبة .

س — اظل القنديل مضاءا طول الليل .

ج — نعم . ولكن ضوءه كان ضئيلا خافتا .!

س — حدثينا بما حدث يا آنسة بعد ذلك .

ج — لا ادرى إذا كنت قد نمت طويلا ام لا . ولكنى استيقظت فجأة وصرخت . !

مسيو استنجرسون — نعم . وكانت صرخة داوية : « إلى القاتل » انها لا تزال تدوى فى اذنى .

س — إذن فقد صرخت صرخة عالية .

ج — نعم . رأيت رجلا فى غرفتى . وقد انقض على واطبق بيديه حول عنقى محاولا ان يخنقنى . وكدت اختنق ولكنى قاومته واستطعت ان امد يدى إلى درج المنضدة الصغيرة المجاورة لفراشى ، فأخذت منها المسدس المحشو بالرصاص . وفى هذه اللحظة سحبنى الرجل من الفراش والقانى على الأرض . فأطلقت عليه النار . وشعرت بضربة عنيفة تهوى على صدغى . ولم اشعر بشىء بعد ذلك .

س — اليست لديك أية فكرة فى الطريقة التى هرب بها الجانى .

ج — كلا . فقد اغمى على .

س — أ كان الرجل الذى رأيته طويلا ام قصيرا .

ج — لا ادرى ، فإنى لم أر إلا شبحا . خيل إلى انه هائل ضخم .

س — اليس فى وسعك ان تصفى لنا هذا الشبح .

ج — كلا يا سيدى القاضى . كل ما اعرف ان رجلا انقض على فأطلقت عليه النار . ولست اعرف شيئا غير هذا .

* * *

تلك هى اقوال الانسة استنجرسون واردناها الآن نقلا عن المحضر الرسمى للتحقيق . وفى خلال استجواب الفتاة كنت وارسين لوبين ننتظر خروج مسيو دارزاك فلما جاء الينا قص علينا كل ماجرى بين القاضى وخطيبته وقد استعان على عدم النسيان بمذكرات سريعة أخذها اثناء الاستجواب بطريقة الاختزال .

وقد اثارت مسألة نافذة الردهة دهشة صديق كما اثارت دهشة القاضى من قبل . ذكر جاك فى اقواله انه فتحها فكيف وجدها مسيو استنجرسون مغلقة عند عودته فى الساعه السادسة . واهتم ايضا بالتأكد من أن حارس الصيد كان هو الشخص الوحيد الذى عرف ان الاب وابنته سيتناولان العشاء فى المعمل .

ولما فرغ مسيو دارزاك من سرد ماجرى فى اثناء التحقيق قلت :

— ان اقوال الآنسة استنجرسون لم تحل شيئا من اللغز .

وقال روبرت دارزاك : — بل قل انها زادته تعقيدا .

فلم يزد ارسين لوبين على ان ابتسم وقال :!

— بل لقد بددت اقوالها الكثير من الظلمات .!

الفصل التاسع

بين لارسان ولوبين

اتجهنا نحن الثلاثة الى القصر فاستوقفنا لوبين عند بعض الشجيرات وقال:

— من هنا جاء القاتل فى ذهابه إلى السلاملك .

ولما كانت الشجيرات كثيرة ممتده على طول الحديقة ولما كان محتملا ان يكون قد جاء من هذه الناحية أو تلك فقد سألت لوبين عما يحدوه الى هذا التحديد؟ فاشار الى الطريق المرصوف المحاذى للشجيرات والمؤدى الى باب السلاملك وقال

— هذا الطريق مرصوف كما ترى . ولا شك ان الجانى سار عليه فى ذهابه الى السلاملك مادمنا لم نجد آثار حذائه على الارض اللينة وبطبيعة الحال لم تكن له اجنحة يطير بها . وبطبيعة الحال لم تنطبع آثار حذائه على الطريق المرصوف وقد اختبأ خلف الشجيرات حتى كانت الفرصة المناسبة فتسلل الى السلاملك حين رأى مسيو استنجرسون وابنته يغادران المكان وفى اثرهما جاك العجوز . فلما انتهى الى نافذة الردهة اضطر أن يسير على الارض اللينة الواقعة بين الطريق المرصوف والنافذة التى تركها جاك العجوز مفتوحه فاستند الى سياجها بيديه وقفز الى الداخل .

فقلت مؤمنا : — هذا فرض جائز .

ولماذا لاتقول انه فرض معقول وبديهي . ما الذي يدعوك الى التشكك بالأمر والاستغرابة والأمر جلي واضح . أتظن ان الجاني هبط من السماء أو انشقت عنه الارض . ؟ اننا نعرف ان الجاني دخل الى السلاملك عن طريق نافذة الردهة ونعرف ايضا الساعة التي دخل فيها . لقد دخل فيما بين الساعة الخامسة والسادسة اثناء تريض البروفسور استنجرسون وابنته في الحديقة . قد تقول معترضا : الايجوز ان يكون قد تسلل الى السلاملك اثناء رياضتها الاولى الساعة الواحدة بعد الظهر . وجوابي على هذا بالنفي لأن الوصيفة كانت موجودة في السلاملك في ذلك الوقت كما يفهم من اقوال الآنسة استنجرسون فليس معقولا أن يدخل الجاني الى السلاملك والوصيفة موجودة فيه الا اذا كانت شريكا له . فجلي اذن ان الجاني تسلل السلاملك واختبأ تحت الفراش قبل الساعة السادسة مساء . فما رأيك في هذا ياميسو دارزاك ..!

— رأيي ان الوصيفة فوق مظان الريب والشبهات . وفضلا عن هذا فقد دخل ميسو استنجرسون الغرفة الصفراء في الساعة الخامسة ليأتي بقبعة ابنته .

— هذا صحيح .

فقلت متسائلا : سلمنا بأن الجاني دخل من نافذة الردهة . ولكن ما الذي حمله على اغلاقها وفي ذلك ماقد يثير الشبهات ويسترعي النظر . ؟

فكان جواب لوبين ان قال : من المحتمل ان النافذة لم تغلق في الحال . ولكن إذا كان قد اغلقها فمرجع ذلك ان الطريق المرصوف ينعطف على مسافة ثلاثين ياردة من السلاملك . والى ان هناك ثلاثة اشجار من اشجار السنديان في تلك البقعة .

فقال ميسو دارزاك في استغراب : ماذا تعني بذلك ياسيدي فاني لا افهم ماترمي اليه . ؟

— ستفهم كل شيء ياسيدي في الوقت المناسب عندما أشرح لك نتائج ابحاثي . ولكن ثق اني لم اقل شيئا ذا أهمية اذا صحت فروضي .

— وما هي فروضك . ؟

— فروضي خطيرة أتردد كثيرا في الافضاء بها .

فقال ميسو دارزاك في الحاح : الديك على الاقل أية فكرة عن القاتل ؟

— كلا ياسيدي . اني لم اعرف بعد من هو القاتل . ولكن كن مطمئنا ياميسو دارزاك فلابد لي ان أعرفه . ،

ولم يعب عني ان هذه الجملة الأخيرة أثرت تأثيرا شديدا في نفس ميسو دارزاك فجعلت اسائل نفسي : اذا كان دارزاك يخاف حقيقة ان يكتشف لوبين شخصية القاتل فماذا اذن يسر له امر البحث التحري ، اليس أولى به ان يعرقل عمله بدلا من مساعدته .،

وفطن لوبين الى أثر كلماته في نفس دارزاك فقال : هل يسودك ياميسو دارزاك ان اكتشف القاتل . فقال خطيب الآنسة استنجرسون :

— اني لا اتمنى شيئا إلا ان اطبق على عنقه بيدي واخنقه .

فابتسم لوبين وقال : انني اصدقك . ولكنك مع ذلك لم تجب على سؤال اسألك عما اذا كان يسوءك ان اكتشف القاتل فتجيبني بانك تتمنى ان تخنقه .

وكنا قد دنونا من الشجيرات التي تحدث عنها لوبين منذ لحظات فسرت اليها ودخلت وراءها ورأيت آثار اقدام واضحة فايقنت ان لوبين كان على حق وان القاتل اختبأ وراء هذه الشجيرات حتى حانت فرصة تسلل فيها إلى السلاملك وابتسم لوبين وقال :

— إن الجاني بشر لا شيطان . ام لعلك لازلت مصرا على انه قطة الشيطان .

واخذ مني الورقة التي كان قد قصها قالبا على أثر الحذاء الذي رأيناه في الغرفة الصفراء .. ودخل إلى ما وراء الشجيرات وطابقه على أثر الحذاء الظاهر هناك ، ثم نهض واقفا وسمعته يقول : — طبعا . طبعا ،

وكنت اعتقد ان لوبين سيقتفي أثر الأقدام التي تتباعد عن نافذة الردهة ليعرف الاتجاه الذي سلكه الجاني في فراره ، ولكنه بدلا من ذلك سار بنا ناحية اليسار وذكر لنا انه يعرف عن يقين الطريق الذي مشى فيه القاتل . واسترسل قائلا :

— لقد مشى في محاذاة الجدار الذي يبعد عن السلاملك خمسين ياردة ، ثم تخطى السياج وقفز فوق الخندق ، بالضبط امام الطريق المفضي إلى البحيرة

فهذا هو اقرب طريق إلى البحيرة .

— وكيف عرفت انه قصد إلى البحيرة ؟ .

— لأن فريدريك لارسان ظل يحوم حول البحيرة منذ الصباح ولم يبتعد عنها للآن . ! فلا شك انه اهتدى إلى آثار ذات شأن حملته على البقاء هناك

وبعد دقائق قليلة انتهينا إلى البحيرة ، ورأينا فريدريك لارسان مقبلين ولكنه لم يحفل بنا واستمر يحرك بعصاه في الماء شيئا لا نراه .

وقال لوبين :

— انظرا . هذه آثار اقدام القاتل قد ظهرت مرة اخرى ، سار في محاذاة البحيرة ثم رجع ادراجه ثم سار في محاذاتها مرة اخرى ، وبعد ذلك انقطعت آثاره عند هذا الطريق المؤدى إلى إبيناي . لقد فر القاتل إلى باريس إذن

فقلت اسأله :

— وما الذى يحملك على هذا الظن وليست هناك آثار على الطريق ؟

— ما الذى يحملنى على هذا الظن . ؟ آثار الأقدام التى كنت أتوقع أن اجدها هنا . انظر . وأومأ بأصبعه إلى أثر قدم انيقة صغيرة . ثم نادى الشرطى الشهير قائلا :

— اكان أثر هذه الأقدام الأنيقة الصغيرة موجوداً فى هذه البقعة منذ وقوع الحادث يا مسيو فريدريك ؟ .

فقال الشرطى مجيبا دون ان يرفع رأسه : نعم . وقد اهتممت بأمرها وهناك اقدام آتية واقدام ذاهبة . فقال لوبين :

— وكانت مع الرجل دراجة . ! ونظرت إلى الأقدام الأنيقة فلاحظت انها تحاذى آثار الدراجة فقلت :

— ان وجود الدراجة يفسر اختفاء أثر اقدام الجانى الكبيرة الضخمة لا شك انه ركب الدراجة وفر هاربا . اما صاحب الأقدام الأنيقة فشريك الجانى

فصاح لوبين وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة خفيفة :

— كلا . كلا . لقد كنت اتوقع منذ البداية ان اجد الأقدام الأنيقة هنا !

ويسرنى انى وجدتها . انها آثار اقدام القاتل ؟ .

— إذن فهناك قاتلان . !

— كلا . ليس هناك إلا قاتل واحد . ! ولم يكن له شريك . !

فقال فريدريك لارسان الذى كان يصغى إلى حوارنا :

— بديع . . بديع جدا ! انك صحفى موهوب . !

فاشار لوبين إلى بقعة من الأرض نبش اديمها قليلا وقال :

— انظروا . . هنا جلس القاتل ونزع حذاءه الكبير الذى انتعله ليضلل البوليس ثم حمله معه لغرض معين . ونهض واقفا وفى قدميه حذاؤه الحقيقى الصغير الأنيق . وسار إلى الطريق العام وهو يدفع دراجته إلى جانبه فامتطاها وطار بها إلى باريس ، ولكنه لم يركب الدراجة فى هذا الممر لأنه غير ممهد ولو أنه ركبها لكانت اثارها ابرز واوضح ، نعم لم يكن هنا إلا القاتل ودراجته .

وهتف فريدريك لارسان : عال . . ! عال . . !

ثم اقترب منا ووقف فجأة امام مسيو دارزاك وقال :

— لو كانت لدينا دراجة هنا لأمكننا ان نجرى تجربة نستوثق بها من حقيقة مايقرره مسيو راؤول . . ! ترى الا توجد فى القصر دراجة يا مسيو دارزاك .

— كلا . . وقد ذهبت بدراجتى إلى باريس منذ ايام وتركتها هناك . . قبل الجريمة بأربعة ايام .

فقال لارسان فى برود : هذا شىء يؤسف له . . !

ثم تحول إلى لوبين وقال : إذا تابعت استنتاجاتك بهذه الطريقة انتهينا حتما إلى نتيجة واحدة . . الديك فكرة عن الطريقة التى خرج بها القاتل من الغرفة الصفراء .

فقال لوبين مجيبا : نعم . انى اعرف الطريقة التى خرج بها .

— وانا ايضا . . ولا ريب اننا متفقان فى الرأى . ! ولتحليل الأمر طريقتان لاثالث لهما . وانى انتظر قدوم مدير البوليس قبل ان افضى بما اهتديت اليه .

— آه . . اذن فسيحضر مدير البوليس ؟

— نعم . . بعد ظهر اليوم . . ليحضر مواجهة جميع الذين اشتركوا فى

الحادث عن قرب او بعد . وسيكون المشهد مسليا ومما يؤسف له انك لن تحضر هذا المشهد الفريد .

فقال لوبين فى يقين : بل ساحضره .

— حقا .. وبهذه المناسبة اقول لك يامسيو راؤول ان من الممكن ان تنبغ كشرطى سرى إذا لم تستسلم الى عواطفك ، كما انى لاحظت اكثر من مرة انك تعتمد اعتمادا مطلقا على التعليل المنطق من ان قوة الملاحظة هى عماد نجاح الشرطى . خبرنى ، ماهو رأيك فى المنديل الملوث بالدماء واثر اليد المنطبع على جدار الغرفة . انى لم ار إلا المنديل فانى لم ادخل الغرفة الصفراء بعد .

فهز لوبين كتفيه فى غير اكتراث وقال :

— اطلقت الآنسة استجرسون النار على القاتل فاصابت يده .

— ملاحظة فى محلها ، احذر ان يضلك المنطق القوى يامسيو راؤول فطالما خدع المنطق الكثيرين .. ، لقد اصبت اذ قلت ان الآنسة استجرسون اطلقت النار . ولكنك مخطىء اذا ظننت انها اصابت يده .!

فصاح لوبين : انى موقن من صحة استنتاجى .. ،

فابتسم لارسان فى سخرية واستهزاء وقال :

— مرة اخرى اقول لك ياسيدى انك تنقصك قوة الملاحظة ، لو انك فحصت المنديل بعناية ورأيت البقع الدموية المستديرة التى به . ولو انك فحصت البقع المقترنة بآثار اقدامه والتى تظهر على الأرض بمجرد انطباع اثر قدميه عليها . لو انك فحصت كل هذا بعناية . وكان لك من قوة الملاحظة قدر كبير لعرفت الحقيقة .. لم يكن القاتل جريحا يامسيو راؤول ، اما هذه الدماء فقد نزفت من انفه ، كان مصابا بالرعاف .. ،

وكان لارسان يتكلم فى ثبات وهدوء . وارسين لوبين يصغى اليه صامتا وقد بدا لى ان اقوال الشرطى الشهير معقولة ، وانه لصاب فيما استنتجه من استدارة البقع واقترانها بخطوات القاتل . واسترسل لارسان يقول :

— أصيب القاتل بالرعاف فنزف الدم من انفه فتلقاه فى منديله وفى يده ثم مسح يده على الجدار ، ولهذه المسألة اهمية خطيرة . اذ ليس من الضرورى

ان يكون القاتل مصابا بجرح فى يده ، واخيرا تكلم ارسين لوبين قائلا :

— قلت يامسيو فريدريك ان سوء استعمال المنطق والاستسلام له خطر يضلل المرء ، ولكنى اصارحك بأن هناك ما هو أخطر وأشد تضليلا من المنطق وذلك هو ماطبع عليه بعض رجال الشرطة من استخدام المنطق بحيث يدعمون به فكرة معينة نبتت فى رؤوسهم ، اكبر خطأ يقترفه الشرطى يامسيو فريدريك ان يعالج احدى القضايا وفى دماغه فكرة معينة ، فانه فى هذه الحالة لن يصرف جهده الى اكتشاف الحقيقة وانما سيصرفه الى تأييد هذه الفكرة واثباتها ولو على حساب المنطق المعقول ، ان لديك فكرة معينة عن القاتل يامسيو فريدريك ، ولابد لصحة نظريتك من ان يكون القاتل غير مصاب بجرح فى يده ، ومن اجل هذا استخدمت منطقك لكى تثبت ان يده سليمة ، فتفتق ذهنك عن حكاية الرعاف ، انها طريقة خطرة جدا ، وستضلك عن الحقيقة فاحذر ان تكون من ابطال الاخطاء القضائية .

وضحك لوبين ضحكة قصيرة ، وجعل الشرطى الكبير يصعد لوبين بنظره وهو صامت ثم أحنى رأسه لنا ومضى فى طريقه دون ان ينطق بكلمة واحدة وهو يضرب الأرض بعصاه .

وتحول الينا لوبين وعلى شفتيه ابتسامة لطيفة وقال :

— سأنتصر عليه ! سأهزمه . نعم .. راؤول تابيه الصحفى الصغير سينتصر على فريدالبك لارسان الشرطى الشهير ، لارسان نابغة البوليس السرى وفجأة سكت لوبين . ونظرت إلى حيث كان ينظر فوجدت عينيه مستقرتين على مسيو روبرت دارزاك .

وكان استاذ السوربون منتقعا شاحبا وعيناه على أثر حذائه المنطبع على الأرض إلى جوار أثر الحذاء الصغير الأنيق الذى تركه القاتل .

ولم يكن هناك أى اختلاف بين الأثرين .!

وارتسم الرعب فى وجه دارزاك وخيل إلينا انه سيخر مغشيا عليه . وجعل يعبث بلحيته فى انزعاج . واخيرا تماسك واستجمع شجاعته وقال فى صوت مختنق انه راجع إلى القصر واحنى رأسه لنا وانصرف .

وصنع لوبين قالبا من الورق لحذاء الأنيق الصغير وطابقه على اثر حذاء داروزاك فإذا بالأثرين متطابقين ..!
وغمغم لوبين يقول :
ـــ بالشيطان .. ! ومع ذلك فإني اعتقد ان داروزاك برىء شريف .
ثم أخذ بذراعي وسار صوب فندق كاسيل القريب من القصر .

الفصل العاشر
اللحم الأحمر

« خان كاسيل » من تلك الفنادق الصغيرة العتيقة التي لا تمت إلى جيلنا الحاضر بسبب وإنما تعيش للماضي والتاريخ . وصاحبها بتغضن جبينه وتجعدات وجهه لا يمكن ان يملك إلا فندقا من هذا الطراز ..! وحين رآنا مقبلين تجاهلنا . ولم يخف إلى استقبالنا . وسألنا في لهجة نابية عما إذا كنا نريد شيئا ..! وقال لوبين يجيبه :
ـــ اسمح لنا بالدخول فإننا لسنا من رجال البوليس ..!
ـــ انى لا اخاف البوليس ..! ولا اخاف احدا على الاطلاق..!
وهممت بأن اشير على صديق بالانصراف بدلا من دخول خان يكره صاحبه ان يستقبلنا . ولكن لوبين دفع يده في ذراعي وقال :
ـــ هيا بنا ندخل فالمكان جميل جذاب ..!
وكانت نار المدفأة مشتعلة في صدر المكان . وقد صفت أواني الشراب فوق رفافها . وقال لوبين وهو يرسل بصره إلى صاحب الخان :
ـــ عال . إن هذه النار تصلح لشي دجاجة .
فقال الرجل في جفاء : ليس لدينا دجاج . حتى ولا ارانب .
فابتسم لوبين ابتسامة ساخرة وقال :
ـــ اعرف ذلك . واعرف اننا الآن فصاعدا سنأكل لحما أحمر .
وقد نطق لوبين الجملة الأخيرة في تؤدة وهو يضبط الكلمات كأنما لها عنده معنى خاصا . ولم افهم في الواقع ما يرمى إليه . ولكن الشيء الذي

ادهشني ان صاحب الخان ما سمع عبارة اللحم الأحمر حتى جزع قليلا واخذ يلعن ويزمجر . ثم كظم ما به ووضع نفسه تحت تصرفنا . تماما كما فعل روبرت داروزاك من قبل حين قال له لوبين « بيت الكاهن لم يفقد فتنته ولا الحديقة رواءها . » ولقد وددت لو ان لوبين فسر لي معنى هذه الكلمات السحرية التي تحيل جفوة الناس وخشونتهم لينا وطاعة .
وفتح صاحب الخان بابا جانبيا صغيرا وامر باعداد البيض واللحم لنا .
وبعد دقائق قليلة اقبلت امرأة حسناء ذات شعر اشقر وعينين نجلاوين جميلتين تحمل الينا صحاف الطعام . وخاطبها صاحب الخان في خشونة :
ـــ هيا انصرفي ..! وإذا جاء الرجل الأخضر فإياك ان تحومي في المكان
وتوارت الحسناء خلف الباب الجانبي الذي جاءت منه .
وشرعنا نتناول طعامنا في سكون . . وفجأة سمعنا صاحب الخان يغمغم في غيظ وحنق : هاهو ذا قد جاء .
وتغيرت سحنته وانقلبت .. وارتسمت دلائل الكراهية والحقد في وجهه وانبعث لوبين واقفا واقترب (وانا في اثره) من النافذة . فرأينا رجلا في ثياب خضراء من القطيفة وعلى رأسه قبعة الصيد وهو يتقدم صوب الخان وبين شفتيه غليونه . وكان يبدو في الخامسة والأربعين ولكنه شديد التأنق يسير في خطوات ارستقراطية . معتزا بما له من وسامة الوجه . وكانت على كتفه بندقية الصيد .
وحين اقترب من الخان بدا عليه شيء من التردد ونظر الينا ونحن عند النافذة ثم تابع طريقه. ونظرنا إلى صاحب الخان مستفسرين وسمعناه يقول همسا
ـــ احسن صنعا بعدم الدخول .وقال لوبين يسأله : من يكون هذا الرجل
ـــ الرجل الأخضر . الا تعرفه . هذا خير لك . إن التعرف به نكبة انه حارس الصيد لأملاك مسيو استنجرسون . ـــ يلوح لي انك لا تميل اليه
ـــ اميل اليه . ليس في هذه الأنحاء من يميل اليه ياسيدي . انه من اولئك المناكيد الذين كانوا اغنياء في يوم من الأيام فبددوا ثروتهم . وهو يكره الناس جميعا إذ قسرته الظروف على ان يهوى إلى درك السعي إلى الرزق

والاشتغال خادما . نعم . فان حارس الصيد ليس الا خادما فى الواقع . لعمرى انه يعتقد فى نفسه انه هو صاحب هذه الضياع والأملاك ولا يسمح لمخلوق بان يدخل الغابة . — امن عادته ان يتردد على خانك .

— انه يتردد اكثر مما ينبغى . ولكننى افهمته فى صراحة وجلاء انى اكره ان ارى وجهه الجميل . منذ ثلاثة شهور لم يكن يسعى الينا اذ كان منهمكا فى مغازلة صاحبة فندق « ازهار الزنبق » فلما سئمها تحول الينا يريد ان يقضى اوقاته معنا . انه شاب فاسد الخلق يسعى دائما وراء النساء . لا ابالى . ان بواب القصر نفسه وزوجته لا يطيقانه .

— اذن فالبواب وزوجته شريفان فى رأيك يا . .

— انى ادعى مانيو . نعم . . انى اعتقد انهما شريفان .

— ومع ذلك قبض عليهما .

— وهل بمجرد الاعتقال دليل على الاجرام . ومع ذلك فهذا ليس من شأنى

— وما رأيك فى الجريمة .

— اوه . . ان الآنسة استجرسون فتاة كريمة رضية الخلق . اما عن الجريمة . فلا رأى لى فيها . هذه مسألة لا شأن لى بها .

— وانا ايضا لا شأن لى بها .

فنظر اليه صاحب الخان متفرسا وقال : لا شأن لك بها .

وفتح الباب فى هذه اللحظة ودخلت عجوز ترتدى ثيابا رثة زرية فقال صاحب الفندق يخاطبها :

— اهذه انت يا ام اجينو . انا لم نرك منذ زمن طويل . .

— كنت مريضة . . حتى لقد اشرفت على التلف . . الديك ما اقدمه للقطة الشيطان .

فقد كانت تتبعها قطة كبيرة الحجم إلى درجة شاذة .

وفتح الباب مرة اخرى ودخل الرجل الاخضر . . !

وجلس حارس الصيد على مائدة قريبة بعد ان اومأ الينا بالتحية وقال

يخاطب صاحب الفندق :

— آتنى بقدح من السيدر يامانيو . . !

وقال صاحب الفندق فى لهجة غاضبة وان كان قد حاول كتمان انفعاله :

— ليس لدى سيدر فقد شرب هذان السيدان آخر زجاجة لدى

— اذن اعطنى قدحا من النبيذ الأبيض .

— وليس لدى نبيذ ابيض . . . ليس لدى شيء على الاطلاق . . !

فلم ينهزم الرجل الأخضر وقال فى هدوء :

— وكيف حال مدام مانيو . .

فجمع صاحب الفندق قبضته غضبا وقال : بخير . . شكرا . .

إذن فالحسناء التى قدمت الينا الطعام زوجة صاحب الفندق . . لا ابنته . . ومن اجل هذا يغار عليها من الرجل الأخضر .

ودخل صاحب الفندق الى القسم الخلفى من الخان وصفق الباب وراءه فى عنف وتحول الرجل الأخضر الى الأم اجينو قائلا :

— كنت مريضة ياام اجينو طيلة الأسبوع الماضى حتى لم نرك

— نعم ياسيدى . . ولم اغادر فراشى الا ثلاث مرات لكى اصلى لحارستنا القديسة سانت جنفيف ... ولم يكن الى جوارى من يعنى بقطتى المسكينة .

— الم تغادرك اثناء مرضك

— تغادرنى ! انها شديدة الوفاء لى ولم تهجرنى لا ليلا ولا نهارا . . !

— عجبا . . لقد سمعنا مواءها فى الغابة فى ليلة الجريمة . .

فنهضت الام اجينو واقفة واقتربت من الرجل وقالت :

— اسمع . . دعنى انبئك بشيء غريب . . فى ليلة الجريمة سمعت مواء قطتى فى الغابة ومع ذلك فقد كانت رابضة فى نفس اللحظة تحت قدمى . . ؟ انى اقسم على ذلك . . ! وانى اعلم انه ليس فى العالم قطة اخرى لها هذا المواء المزعج المخيف . . لقد ظننت اذ ذاك ان الشيطان نفسه هو الذى يموء فرسمت علامة الصليب على صدرى .

وخيل الى ان ابتسامة هازئة ارتسمت على شفتي حارس الصيد وهو يصغى الى كلمات الأم اجينو . وخيل الى انه يرتاب فى ان لها علاقة بالجريمة .

وفى هذه اللحظة سمعنا من القسم الخلفى من الفندق اصوات عراك عنيف ولطمات تنهال . فهب الرجل الأخضر واقفا وتقدم خطوة ناحية الباب الداخلى . ولكن الباب فتح فى هذه اللحظة وبرز منه صاحب الخان وهو يضحك ضحكة وحشية وقال موجها حديثه الى الرجل الأخضر :

— لاتزعج نفسك .! انها زوجتى . ! ان ضربها يؤلمها . ! هذا شىء من اللحم لقطتك ياام اجينو . !

وناولها لفافة صغيرة فأخذتها وانصرفت تتبعها قطتها .

وقال الرجل الأخضر : ألا تنوى ان تقدم الى ما طلبت .

فصاح صاحب الخان : ليس لك شىء لدى . هيا انصرف . انصرف .

فحشا الرجل الاخضر غليونه فى هدوء واشعله ثم احنى رأسه يحيينا وخرج وصفق ماثيو الباب خلفه فى عنف والتفت الينا قائلا .

— لست ادرى من انتما . انتما اللذان جئتما تقولان لى : «من الآن فصاعدا لن تأكل الا اللحم الاحمر . » . ولكن اذا اردتما أن تعرفا شيئا ذا اهمية فاعرفا اذن ان هذا الرجل هو القاتل .

وما نطق ماثيو بهذه الكلمات حتى أولانا ظهره وتوارى فى القسم الخلفى فلم نره حتى انصرفنا . فتركنا له اجر الطعام على المنضدة .

وأخذ لوبين بذراعى فطفنا حول املاك مسيو استنجرسون حتى انتهينا الى طريق جانبى ضيق رأينا عنده كوخا وفرنا لتحويل الخشب الى فحم الخشب وكانت الارض مغطاة بالرماد الاسود المتخلف عن هذه العملية فقال لوبين :

— لاريب فى ان القاتل جاء من هذه الناحية . وهذا تعليل الهباب الاسود العالق بآثار حذائه .

اذن فانت تعتقد أن القاتل جاء من الخارج وألا شأن لحارس الصيد بالجريمة؟

— انى اعتقد أن صاحب الخان انما تكلم بدافع من الغيرة ومع ذلك فسنول

الامر عنايتنا فيما بعد والواقع انى انما ذهبت بك الى « خان كاسيل » لغاية اخرى لاعلاقة لها بالرجل الاخضر .

واتجهنا بعد ذلك الى القصر . فلما صرنا عند المسكن المخصص للبواب القائم الى جوار البوابة العامة طلب الى لوبين ان انتظره . وببراعة القردة تسلق الجدران ودخل من النافذة فغاب نحو عشر دقائق ثم رجع الى وهو يتمتم قائلا :

— طبعا . ! هذا ماكنت اتوقع .!

واقبلت فى هذه اللحظة مركبة اتجهت الى باب القصر الداخلى . فقال لوبين:

— هاهو ذا مدير البوليس قد جاء . وسنرى الآن مايطويه فريدريك لارسان فى اعماق صدره ، وأينا ابرع من صاحبه فى الاستنتاج واكتشاف الحقائق : لوبين أم لارسان .

الفصل الحادى عشر

رأى لارسان فى كيفية فرار الجانى

بين الوثائق الخطيرة الموجودة لدى عن هذه القضية فصل كتبه مسيو مالين على نية ضمه الى كتاب كان ينوى اصداره عن القضايا الشهيرة التى ساهم فيها وفى هذا الفصل لخص مسيو مالين ماجرى فى المعمل بحضور مدير عام البوليس حين أخذ فريدريك لارسان بشرح الكيفية التى هرب بها الجانى من الغرفة الصفراء .

وهذا نص الفصل الذى كتبه مسيو مالين :

« امضيت انا والقاضى ساعة كاملة فى الغرفة الصفراء وفى وفقتنا المهندس الذى شيد السلاملك وقد أحضر المهندس معه بناء نزع عن الجدران الورق الملون الذى يغطيها ثم شرع يدق عليها بمعوله وعلى الارض والسقف على طريقة فنية خاصة حتى ايقنا فى نهاية الامر أن ليس بالغرفة اى منفذ سرى وقد ابتهج مسيو ماركيه ايما ابتهاج اذ كان يخشى أن يفضى البحث الى اكتشاف يفسد هذا اللغز العجيب . »

«ثم أمر مسيو ماركيه أحد الجنود بأن يدعو مسيو استنجرسون ومسيو

وروبرت دارزاك وجاك العجوز لمقابلته فى المعمل كما أمر باحضار البواب وزوجته من محبسهما فى بدروم القصر .

ولما التأم الجمع (وكان مدير البوليس قد وصل الى القصر منذ برهة وجيزة) وقف مسيو ماركيه والقى الكلمة التالية :—

« اسمحوا لى ايها السادة ان اقول انا ازاء قضية عجيبة لاتشبه فى شيء القضايا الأخرى التى الفناها ولهذا رأيت ان اتبع فى التحقيق طريقة هى ان اجمع فى مكان واحد جميع الذين اتصلوا عن قرب او بعد بالحادث . وما جمعتكم لاستجوابكم وانما جمعتكم لتبادل الرأى .

وارجو ان ينسى البواب وزوجته انهما معتقلان وان يشتركا معنا فى الحديث .

« نحن الآن ايها السادة فى مكان الجريمة ، وبطبيعة الحال لن يدور حديثنا إلا عنها ، فلنتكلم إذن ، وليبد كل منكم ما يعن له من رأى سواء كان هذا الرأى سديداً ام سخيفا ، فرب كلمة غير مقصودة تفيد التحقيق وتمهد سبيلا إلى إماطة اللثام عن هذا اللغز العجيب ، والآن فلنبدأ . »

وتحول مسيو ماركيه إلى البروفسور استنجرسون وقال :

— ارجوك يامسيو استنجرسون ان تجلس فى نفس المكان الذى كنت فيه حين تركت ابنتك وآوت إلى مخدعها .

فوقف الأستاذ على مسافة قدمين من الغرفة الصفراء وقال :

— كنت هنا . فى الساعة الحادية عشرة مساء نقلت مكتبى مساء إلى هذه البقعة حتى افسح مكانا لجاك العجوز لكى يغسل الأوانى الكيميائية والأنابيب . وقد امضى المساء كله خالى منهمكا فى عمله . وحين ارادت ابنتى دخول غرفتها كان لا بد لى ان أزحزح قليلا مقعدى لأمكنها من المرور .

وتنفيذا لاشارة من رئيس مسيو ماركيه طرحت هذا السؤال :

— وماذا فعلتم بالمكتب حين سمعتم صرخات الاستنجاد والطلقات النارية .

فقال جاك العجوز مجيبا :

— دفعنا المكتب إلى حيث هو الآن لصق الجدار حتى نصل إلى الباب

— أكان المكتب قريبا من باب الغرفة بحيث يسهل على الجانى ان يتسلل من الغرفة زحفا ويختبىء تحت المكتب دون ان يشعر به احد ؟ .

فقاطعنى مسيو استنجرسون بقوله :

لقد نسيت يا سيدى ان ابنتى اوصدت الباب بالمفتاح واحكمت رتاجه . وان الباب ظل مغلقا ونحن فى خارجه نسمع صرخات ماتيلدا المسكينة وهى تناضل القاتل .

فزايلت مقعدى وفحصت الباب ثم رجعت إلى مكانى وقلت :

— انفرض ان اللوح الأسفل من الباب قابل للتحرك . وانه نزع من مكانه لخرج الجانى من الفجوة ورده كما كان والباب كله مغلق بالمفتاح والمزلاج الا يكون فى هذا الفرض ما يحل هذه المعضلة العويصة التى نحن بصددها ! ومع ذلك فقد فحصت الباب ورأيت ان الألواح كلها ثابتة غير قابلة للتحرك .

وقال جاك العجوز :

— انه باب متين تشاركنا نحن الأربعة على تحطيمه . ومما يؤسف له ان يسجن برنييه وزوجته مع انهما اشتركا معنا فى البحث عن القاتل وتحطيم الباب

وما نطق جاك بهذه الكلمات حتى اخذت المرأة وزوجها يبكيان فنهرهما مسيو ماركيه وقال يخاطبهما :

— اولى بكما بدل البكاء ان تصارحانى عما كنتما تفعلان بالقرب من السلاملك ساعة الاعتداء على سيدتكما . فقد قابلكما جاك العجوز على مسافة قريبة جداً من السلاملك .

— كنا قادمين لإنقاذ الآنسة استنجرسون .

وظلا ينكران اشتراكهما فى الجريمة على اى وجه من الوجوه ويؤكدان انهما خفا إلى المكان على دوى الطلق النارى .

— لم يكن طلقا واحداً وانما طلقين .! أرأيتما انكما تكذبان . لو انكما سمعتما أحد الطلقين لسمعتما الثانى بلا نزاع .

— الواقع ياسيدى اننا لم نسمع إلا الطلق الثانى ولابد إننا كنا

نائمين عند انطلاق الرصاصة الأولى .

فقال جاك العجوز :

— نعم .. لقد اطلقت رصاصتان . كان مسدسي محشوا بست رصاصات فلم نجد فيه غير اربعا . وفضلا عن ذلك فقد سمعنا دوى طلقتين ووجدنا في الغرفة خرطوشتين فارغتين وأثر رصاصتين احداهما في الجدار والأخرى في السقف . فقال مسيو استنجرسون مؤيدا :

— هذا صحيح .. وقد كان دوى الطلق مكتوما محبوسا اما الطلق الثاني فكان عاليا داويا .

فتحول مسيو ماركيه إلى البواب وزوجته قائلا :

— لماذا تصران على الكذب .؟ كل القرائن تثبت انكما كنتما في الحديقة على مقربة من السلاملك ساعة وقوع الحادث فما الذى كنتما تفعلان .؟ الا تريدان ان تجيبا . إن صمتكما دليل على اجرامكما . ان فرار الجاني من الغرفة الصفراء لا يمكن تفسيره الا اذا كان البواب وزوجته شريكين له . فعند اغتصاب الباب انصرف مسيو استنجرسون الى العناية بابنته المسكينة فسهل الأمر على الشريكين وحميا القاتل بجسميهما حتى إذا بلغ الباب اجتاز المعمل واسرع إلى نافذة الردهة فوثب منها إلى الحديقة . هذا هو التعليل الذى انتهيت إليه . فهل لدى احد منكم رأى في الأمر .

فقال مسيو استنجرسون مجيبا :

— هذا مستحيل .. ، انى واثق من ان البواب وزوجته ليسا شريكين للجاني وان كنت لا استطيع ان افسر سبب وجودهما في الحديقة في مثل هذه الساعة من الليل . اقول ان الأمر مستحيل لأن مدام برنييه كانت واقفة على عتبة الغرفة والمصباح في يدها ولم تزايل مكانها لحظة واحدة . وعندما دخلت الغرفة جثوت إلى جانب ابنتي فكان مستحيلا على اى شخص ان يدخل الغرفة او يخرج منها إلا إذا تخطى فوق جسم ابنتي الممددة على الأرض وأزعجني . وفضلا عن ذلك فبمجرد دخولنا ألقينا نظرة سريعة على الغرفة تأكدنا انها خالية إلا من ابنتي .

فقال القاضي :

— وماهو رأيك في هذه المسألة يامسيو داروزاك ؟

فقال داروزاك انه لارأى له في هذا الموضوع . وهنا تكلم مسيو داكس مدير البوليس قائلا :

— يحسن بنا ان نبحث عن الدافع للجاني على ارتكاب جريمته فقد يكون في معرفة هذا الدافع مايرشدنا الى شخصية القاتل .

ثم تحول الى مسيو استنجرسون قائلا :

— أصحيح ان الآنسة استنجرسون كانت على وشك الزواج قريبا ؟

فأرسل مسيو استنجرسون نظرة حزينة الى داروزاك وقال :

— نعم .. من صديقي بل ابني روبرت داروزاك .

فقال مدير البوليس في الحاح :

— اذن فبمجرد شفائها سيتم الزواج .. أليس كذلك ؟

— ارجو ذلك . — ترجو ذلك .. ألست متأكدا ؟

ولم يجب الاستاذ على هذا السؤال ولاح الاضطراب على الخطيب . وسعل مسيو داكس ثم قال :

— ارجو ان لايغيب عنك يامسيو استنجرسون اننا ازاء قضية معقدة . فلا يسعنا في هذه الحالة الا ان نطرق كل باب دون ان نغفل شيئا مهما كان تافها مادامت له صلة بالمجني عليها . اننا على يقين الآن من ان الآنسة استنجرسون ستبرأ من جراحها فما الذى يجعلك غير متأكد من اتمام الزواج .

وبعد سكتة قصيرة قال الأب : اصبت ياسيدى .. وانى ارى ان الافضاء بالحقيقة اولى بى . واعتقد ان مسيو دارزاك يشاطرنى هذا الرأى .

واكتفى دارزاك الذى كان شديد الشحوب باحناء رأسه .

واسترسل مسيو استنجرسون قائلا :

يجب ان ابنئك ياسيدى بأن ابنتى اقسمت ان لا تهجرنى ، وعلى رغم توسلاتى إليها بأن تتزوج ، ابت ان تستمع لكلامى مفضلة ان تمضى حياتها إلى جوارى .. وترجع معرفتنا بمسيو دارزاك إلى زمن بعيد وهو مغرم بابنتى وقد خيل إلى فى يوم من الأيام انها بادلته هذا الحب وقد اقمت نفسى سرورا حين انبأتنى اخيرا انها اعتزمت أن تتزوجه، ولكن قبل وقوع الجريمة بيومين فوجئت بأن سمعت من ابنتى انها عدلت عن الاقتران بخطيبها .

وساد الحاضرين سكوت عميق ، وتكلم مدير البوليس :

ــ ألم تذكر لك ابنتك الباعث الذى حدا بها إلى هذا العدول ؟

ــ لقد ذكرت لى انها تقدمت فى السن وتجاوزت طور الشباب فلم تعد تصلح للزواج ، ولم تكتم عنى انها تقدر بل تحب مسيو دارزاك ولكنها تؤثر ان تظل الأمور على ما هى عليه ، واضاف إلى هذا الحد تحب ان ترى العلاقات بينى وبين مسيو دارزاك تزداد توثقا على ان لا تطرق بعد موضوع الزواج .

وغمغم مسيو داكس يقول . هذا غريب . !

وقال مسيو ماركيه مؤمنا : غريب جدا . !

وقال مسيو استنجرسون :

ــ وبطبيعة الحال لن نجد الدافع الى الجريمة فى هذا العدول .

فقال مسيو داكس : مهما يكن من الامر فالثابت ان السرقة ليست هى الدافع فصاح مسيو ماركيه

ــ لقد كنا على يقين من ان ليس للسرقة شأن بالجريمة

وفى هذه اللحظة فتح باب للمعمل ودخل شرطى يحمل بطاقة قدمها الى مسيو ماركيه الذى ماقرأها حتى افلتت شفتاه آهة تدل على الغضب .

دار النصر للطباعة